القراءات المختلفة في سورة النور
دلالة صرفية ومعجمية

د . أحمد إبراهيم محمد علي
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات - بني سويف

المقدمـــة

انحصرت وجوه الدلالة المتمثلة في النصوص اللغوية بصفة عامة والدينيـة بصفة خاصة ، وتعددت مناحيها واتجاهاتها لتشمل هـذه الوجـوه الدلاليـة المتعددة : الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والاجتماعية، وباكتمـال البحث في هذه الوجوه المتعددة تكتمل المنظومة الدلالية بكل أبعادها ، ويؤتى النص ثماره على كافة المستويات .

غير أني قد عمدت إلى وجهين فقط من هذه الوجوه الخمسة لإجراء الدراسة عليه ، وهما : دلالتا المعجم والصرف ، وأرجأت سائر الوجوه لدراسة لاحقة لعدة أسباب :

منها أن الدلالة المعجمية هي الدلالة الأولية المفردة التي وضعها العرب لهذه الكلمة أو تلك حسب الاستعمال اللغوي الذي وضعت فيه الألفاظ للمعـاني ، ولذلك يسميها البعض الدلالة اللغوية ، فهي الأساس الذي تفرعت عليه – بعد ذلك – كل وجوه التطور الدلالي .

ومنها أن الدلالة الصرفية دلالة زائدة على الدلالة المعجمية فهي أعم منها ، فهو – إذن – تطور طبيعي أن نبدأ بالدلالة المعجمية ثم ننطلق منهـا إلـى الدلالة الصرفية .

ومما لا شك فيه أن تضافر الدلالتين : المعجمية بما تحمله من معنى لغوي مفرد ، والصرفية بما تحمله من الدلالات الصرفية المتنوعة بتنوع الأبنيـة

سوف يساهم في اكتمال الهيكل الدلالي للصيغة ، بدءا بالمعنى المعجمي المفرد ، ومرورا بمعاني الصيغ المتطورة ، وانتهاء بالنضج الدلالي للعناصر المشار إليها، وهذا يقودنا إلى فهم مظاهر النص وسبر غور دلالته المقصودة ومنها أن إرجاء الدلالة الصوتية لن يؤثر على اعتدال المسيرة ، لأن إرجاء الصوت – وهو في خدمة الصرف – لن يؤثر على دلالتنا الصرفية ، ولن يحول دون تحديد معناها . وكذلك إرجاء الدلالة النحوية لن يؤثر أيضا في فهم سياق النص ، لأن فهم اللفظة في السياق المعجمي يفي – إلى حد بعيد – بالغرض من النص ، وبقطع النظر عن السياق النحوي . وربما كان هذا ماحدا بالزركشي في علوم القرآن (٣٧٤/١) إلى القول بأن العلم بالصرف أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة ، لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها.

والمعروف أن الدراسة إذا تعلقت بالنصوص القرآنية فالعبرة دائما – وعلى حد مفهوم الأصوليين – بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومن ثم فلن يؤثر في المحصلة الدلالية المقصودة غياب الدلالة الاجتماعية ، إذ ليس لها كبير أثر ما دامت الدراسة متعلقة بالنصوص القرآنية .

وكما يتضح من عنوان البحث فقد جعلت القراءات المختلفة في سورة النور هي موضع دراستي والبيئة التي أعملت فيها يدي وأفرغت جهدي وطاقتي ، وذلك للمرتبة العالية التي يتبوأها القرآن ونصوصه بين سائر النصوص اللغوية من حيث الصحة والاحتجاج ، ولغناه بالمظاهر الصرفية المتعددة ، ولوفرة التأويل ودلو العلماء فيما يتعلق بهذه النصوص ، وعلى مر الأعصار.

وقد جاءت مادة البحث ممثلة في جهة واحدة وهي تقنيد الدلالات المعجمية والصرفية التي تعلقت بنصوص سورة النور وقراءاتها المختلفة ، مع إسناد هذه القراءات في جميع أحوالها إلى أصحابها من الصحابة أو التابعين أو القراء ، ثم الغوص فيما تطرحه هذه الوجوه المختلفة من معاني متعددة ، وما يترتب على ذلك من توجيه لغة السياق الدلالية، مع استخلاص ما تربو به الدراسة من مظاهر لغوية جديرة بالرصد والتسجيل .

هذا وقد قدمت بين يدي هذا العمل بتمهيد يسير يتمثل في إطلالة موجزة على ما ورد في عنوان هذا البحث من ألفاظ لغة واصطلاحا .

وختاما أسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وأن يجعل بحثي هذا غاية مأمولة وهدية مقبولة في عالم الدراسات اللغوية ، وأن يغفر لي ما طاف هذا العمل من الهفوات والزلات ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دكتـــور

أحمد إبراهيم محمد علي

تمهيـــد

المعجم لغة واصطلاحا:

المعجم مصدر بمنزلة الإعجـــام ، مـــن أعجمـــت الكتـــاب أزلـــت استعجامه. والأصل أن العين والجيم والميم إنما وقعت فـــي كـــلام العـــرب للإبهام والإخفاء وضد الإفصاح والبيان، ومن ذلك قولهم (رجل أعجم) إذا كان لا يفصح ولا يبين كلامه [1] .

وقد أزال ابن جني هذا اللبس بأن العين والجيم والميم وإن كانت تدل علـــى الغموض والإبهام غير أن الهمزة في (أفعلت) أي أعجمت قد تأتي ويـــراد بها السلب والنفي ، أي نفي العجمة وسلب الإبهام عن هذا الكتـــاب فـــصار معجما.

واصطلاحا:

هو كتاب يضم كل كلمة في اللغة ، أو أكبر عدد من مفردات اللغة ، مصحوبة بشرحها وتفسيرها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها ، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا على حروف الهجاء أو الموضوع [2] .

الصرف لغة واصطلاحا :

تدل عبارات المعاجم – بعد تعقبها – على أن الصرف لغة قد يـــراد به الدفع والرد والنقل والتقليب والتغيير ، وإذا خصص بالألفاظ فالمراد بـــه اشتقاق بعضها من بعض [3] . وكلها عند المتفحص معنى واحد.

---

[1] اللسان : ٤/٢٨٢٦ – ٢٨٢٧ ، سر صناعة الإعراب : ١/٤٣.

المعاجم العربية مدارسها ومناهجها: د. عبد الحميد أبو سكين : ص٨.

[2] اللسان: ٤/٢٤٣٤ – ٢٤٣٥ ، القاموس المحيط ٣/٢١٩، المعجـــم الـــوجيز ص٣٦٤ ، التعريفات للجرجاني ص١٣٢

واصطلاحا: علم بأصول تعرف به أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء [1]. بمعنى أنه علم لا يختص بناحية الإعراب بل ببناء الكلمة وتنوع صيغها .

وبناء عليه فالدلالة المعجمية : هي المعنى الذي حددته المعاجم للمفردات حسب الاستعمال اللغوي الذي وضعت فيه الألفاظ للمعاني [2] فهي بيان للمعاني المفردة للكلمات.ومن ثم فقد وصف الدكتور تمام حسان المعجم بأنه ليس نظاما من أنظمة اللغة يشتمل على شبكة من العلاقات العضوية والقيم الأخلاقية ، بل وصفه بأنه ليس إلا قائمة من الكلمات التي تسمى تجارب المجتمع أو تصفها أو تشير إليها.ومن شان هذه الكلمات أن تحمل إلى جانب دلالتها بالأصالة والوضع الحقيقة على تجربة من تجارب المجتمع [3] .أما الدلالة الصرفية فهي الدلالة التي تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها ، وهذا يعني أن الصيغة قد تفيد معنى جديدا زائدا على المعنى المعجمي ،أو أن الكلمات قد تكتسب عن طريق صيغها قدرا آخر زائدا على الدلالة المعجمية يسمى بالدلالة الصرفية [4] . ويزيد الدكتور أحمد مختار عمر الأمر توضيحا فيقول : " فلا يكفي لبيان معنى (استغفر) بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر) بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة ، وهي هنا وزن (استفعل) أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب " [5] .

---

١ كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي : ١٤/١، ١٥.

[2] علم الدلالة : د. محمد عبد الحفيظ العربان: ص٦٢

[3] اللغة العربية معناها ومبناها ص٣٩.

[4] دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس : ص٤٨ .

٥ علم الدلالة: ص١٣.

وبعد تحديد المفهوم من الدلالة الصرفية والدلالة المعجمية تنبغي الإشارة إلى تحديد المادة التي سنجرى عليها البحث والدراسة ، وهي القراءات المختلفة في سورة النور [1] ، وكل قراءة تحمل العديد من الدلالات كم سبق أن أشرنا ، غير أننا قد قصدنا فقط من هذه الدلالات: الدلالة المعجمية وهي الدلالة الأصلية التي وضعت بإزاء ألفاظها حين وضع اللغة ، والدلالة الصرفية المكتسبة من الصيغ والزائدة على المعنى المعجمي ، والتي لا تعدو في أصولها المباني التقسيمية الثلاثة – والتي أشار إليها الدكتور تمام حسان – الاسم والصفة والفعل، دون غيرها من أقسام الكلام : كالضمير والخوالف والظروف والأدوات [2] .

تجدر الإشارة إلى عدم الفصل – ونحن نعالج هذه النصوص – بين هذين النوعين من الدلالات: الصرفية والمعجمية ، بل نتناولهما كلتيهما وحدة واحدة تتداخل مستوياتهما ، فربما كان ذلك أجدى وأنفع في تحديد المعنى العام للسياق المعجمي الذي تتمثله الآية .

نسأل الله التوفيق والسداد ، ونستلهمه العون والرشاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

﴿ وَفَرَضْنَاهَا ﴾ (١) : أصل الفرض قطع الشيء الصلب والتأثير فيه كفرض الحديد والزند والقوس، ومنه المِفْراض والمِفْرض، أي ما يقطع به الحديد [3] . وقد قرأها علمة قراء المدينة والكوفة والشام بتخفيف الراء ، بينما قرأها بعض قراء الحجاز والبصرة بتشديدها.

---

[1] والمقصود بالقراءات: وجوه متعددة في طرق الأداء للقرآن الكريم ممثلة لطرائق النظم لدى القبائل العربية . القراءات واللهجات : د. عبد الغفار هلال ص٢٢ .

[2] اللغة العربية معناها ومبناها: ص١٩ .

[3] مفردات الراغب :ص ٣٢٨ وانظر النهاية لابن الأثير ٣ / ٣٤٢ ، وروح المعاني للألوسي ٣/ .

والفرق بين مدلولي القراءتين يكمن في الفرق بين مدلولي الصيغتين (فعل) و (فعّل) بتشديد العين. وقد أصل ابن جني – من وجهة لغوية محضة – للفرق بين الصيغتين، فذهب إلى أن تكرير العين في المثال (فعل) يدل على تكرير الفعل ، نحو كسر وقطع وفتح وغلق، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فقد قابلوا بأقوى اللفظ قوة الفعل ، وأقوى اللفظ هو العين [1] . واعتدادا بهذا التأصيل فالصيغة (فعّل) بتشديد العين تدل على التكرير ، أي تكرير الفرائض وتعددها في السورة. وقد فرق الراغب الأصفهاني – في هذا الصدد – بين الفرض والإيجاب ، فالفرض كالإيجاب ، إلا أن الإيجاب يقال اعتبارا بوقوعه والفرض اعتبارا بقطع الحكم فيه [2] .

وعليه فإن تأويل (وفرضناها): أوجبنا العمل بها عليك ، وعلى النحو الوارد في تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ (القصص/٨٥) أي أوجب عليك العمل به .

ويبدو أن تأويل الفرض بالإيجاب على أتم وجه – أي : أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجابا قطعيا – هو التأويل الغالب عند معظم القراء والمفسرين [3] .

ويؤكد الأزهري هذا المعنى فيقول:" ومن خفف فمعناه : ألزمناكم العمل بما فيها من الواجبات والحقوق " [4] .

وعلى الرغم من تفاوت الأقوال حول قراءة التشديد فإنه يمكن حصر مدلولاتها فيما يلي :

---

[1] الخصائص: ٥٠٧/١ .

[2] مفردات الراغب:ص٣٨٢ - ٣٨٣ .

[3] انظر : البحر المحيط ٤٢٧/٦ ، مفاتيح الغيب ٢١٢/٦ ، جامع البيان للطبري ٥١/١٨ .

[4] معاني القراءات : ص٣٣٠

١- كثرة فرائضها ، أي : أنزلنا منها فرضا بعد فرض ، فلما كثرت الفروض شدد الفعل [١] ، وهو تأويل يواكب مدلول الصيغة الصرفية عند علماء اللغة [٢] .

كما فرق الفخر الرازي بين وجهين للتكثير ، أحدهما : أن الله تعالى بين فيها أحكاما مختلفة ، والثاني: أنه أوجبها على كل المكلفين إلى آخر الدهر [٣] . هذا وقد أفردت طائفة من العلماء الوجه الثاني من وجوه التكثير عند الفخر مدلولا مستقلا لهذه الصيغة كالفراء والطبري والألوسي [٤] .

٢- **المبالغة في إيجابها** : ذكره البيضاوي وأبو حيان والألوسي وغيرهم [٥] ، وقد علل الفخر الرازي لهذه المبالغة من حيث إنها حدود وأحكام فلابد من المبالغة في إيجابها ليحصل الانقياد لقبولها [٦] .

٣- **تفصيلها** : وقد ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء ومجاهد والفيروزابادي [٧] .

وقد عقب الطبري بما رآه صوابا من القول فذهب إلى أن القراءتين قراءتان مشهورتان وقد تمثلهما كثير من علماء القراءات ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الأحكام ، وأمر

---

[١] انظر تفسير البيضاوي ٧٣/٤ ، إعراب القرآن للنحاس ١٢٧/٣ ، القاموس المحيط ٥١٩/٢ .

[٢] انظر : شرح التسهيل ٣٥١/٣ .

٣ مفاتيح الغيب: ٢١٢/٦.

٤ إعراب القرآن للنحاس ١٢٧/٣، جامع البيان ١٨/ ٥١ روح المعاني ٣/٦.

٥ تفسير البيضاوي ٧٣/٤ ، البحر المحيط ٤٢٧/٦ ، روح المعاني ٣/٦.

٦ مفاتيح الغيب ٢١٢/٦.

٧ انظر الصحاح للجوهري ٩٢١/٣ ، والقاموس المحيط ٥١٩/٢.

فيها ونهى ، وفرض على عباده فيها فرائض ، ففيها المعنيان كلاهما التفريض والفرض [1] .

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ (٢): قرأها الجمهور بالتاء، وقرأها علي- رضي الله عنه- بالياء (ولا يأخذكم).وقد ذكر الفارسي أن التأنيث على ضربين : حقيقي وغير حقيقي ، فالحقيقي ما كان بإزائه ذكر، نحو : رجل وامرأة ،وجمل وناقة ، وعناق وجدي . أما غير الحقيقي فما لحق اللفظ فقط ولم يكن تحته معنى ، نحو البشرى والذكرى ، وصحراء وطرفاء ، وغرفة وظلمة [2] .

وعليه فإن كلمة (رأفة) تأنيث غير حقيقي ، لوقوع التأنيث ليس على المعنى بل على الاسم ، وقد عرفها الفيروزابادي بأنها أشد الرحمة أو أرقها [3] . وقبل توجيه قراءة علي – رضي الله عنه – نشير إلى قاعدة في التأنيث نقلها السيوطي عن ابن يعيش خلاصتها أن الأصل في الأسماء التذكير والتأنيث فرع عليه [4].

وبعد استجماع طرق التأويل التي يمكن بها جبر التذكير فإنه يمكن إجمالها فيما يلي :

١- الحمل على المعنى: وقد لجأ إليه البعض تأويلا للرحمة في قوله تعالى (إِن رَّحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف /٥٦) بالإحسان أو المطر ، وكلاهما مذكر [5].

---

١ جامع البيان : ١٨/٥٢.

٢ المخصص : ابن سيده:٥/٥٥.

٣ القاموس المحيط ٣/١٩٢ مادة رأف.

٤ الأشباه والنظائر ٣/١٧٤

٥ انظر معاني القرآن للأخفش٢/٥١٩ ، وفقه اللغة للثعالبي ص٣٩٨ – ٣٩٩.

٢- وهو وجه في إطار تأويل الآية سالفة الذكر ، خلاصته أن الرحمة مصدر، والمصادر كما لا تجمع لا تؤنث . وقد نقل السيوطي هذين الوجهين عن الجوهري والزمخشري في كتابيهما ، وقد ردهما بحجة أن القريب على وزن فعيل، والفعيل والفعول يستوي فيهما المذكر والمؤنث حقيقيا كان أو غير [1].

وعليه فإن حمل لفظة (رأفة) على معنى مذكر يواكب تذكير الفعل لا يصفو، لغلبة صفة

التأنيث على مرادفات الرأفة كالرحمة والشفقة ، وحتى مع توافر المرادفات المذكرة لهذه اللفظة فإن هذا وجه يصعب اطراده. أما كون الرأفة مصدرا والمصادر كما لا تجمع لا تؤنث فها هي قراءة الجمهور بتأنيث الرأفة.

٣- أشار الفارسي في المخصص [2] إلى أن التأنيث إذا كان غير حقيقي – مثل كلمة (رأفة) – جاز تذكير الفعل الذي يسند إليه متقدما نحو قوله تعالى (فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِهِ) (البقرة /٢٧٥) ، (وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر /٩) ، (وَأَخَذَ الذين ظَلَمُوا الصيْحَةُ) (هود /٦٧) مع جواز التأنيث في مواضع أخرى مثل قوله تعالى (قَدْ جَاءتْكُم مَوْعِظَةٌ) (يونس /٥٧) ، (فَأَخَذَتْهُم الصيْحَةُ) (المؤمنون / ٤١) . ومما احتج به الفارسي من الشعر قول عامر بن جوين الطائي:

فلا مُزْنَة ودقت وَدقها ولا أرضَ أبقل إبقالها

---

[1] الأشباه والنظائر ٣/١٧٤.

حيث حذف تاء التأنيث من الفعل (أبقل) المسند إلى ضمير المؤنث ، وهو ضمير مستتر يعود على السحابة المؤنثة [1].

٤- وإتماما لما ذكره الفارسي فقد ذكر الأخفش أن كل مؤنث فرقت بينه وبين فعله حسن أن تذكر فعله إذا كان التأنيث مجازيا ، غير أن ذلك يقبح في الإنس وما أشبههم مما يعقل [2].

وعلى ذلك حمل التذكير في قوله تعالى (ولا يُقبلُ منها شفاعةٌ) (البقرة /٤٨) ، (ولو كان بهمْ خصاصةٌ) (الحشر /٩) ، (ولا يُؤخذُ منكُم فديةٌ) (الحديد /١٥) حين فرق بين الفعل وبين الاسم بفاصل ، وهذا ما نص عليه أبو حيان في إطار تفسيره لهذه الآية ، فقال :" قرأ علي بن أبي طالب (ولا يأخذكم) بالياء لأن تأنيث الرأفة مجاز، وحسن ذلك للفصل " [3].

أما كلمة (رأفة) فقد قرأها ابن كثير (رأفة) بفتح الهمزة والجمهور بإسكان الهمزة ، وابن جريج ومجاهد بفتح الهمزة مع ألف بعدها (رءافة). والمتفق عليه أنها جميع لغات في المصادر بوزن الرعفة والرعافة كالكآبة والكآبة والسأمة والسآمة [4].

وقد أصل الفيروزابادي لهذه المصادر فقال : " رأف الله بك ورأف ورأوف رأفة ورآفة ورأفا محركة " [5].

---

١ أوضح المسالك ٩٢/٢ – ٩٣ رقم ٢١١ ، أمالي ابن الحاجب ٣٥٢/١، البهجة المرضية للسيوطي: ٢٣٤/١٧ ص١٩٩ .

٢ معاني القرآن ١/ ٢٦١ ٢٦٢.

٣ البحر المحيط ٤٢٩/٦.

٤ انظر معاني القراءات للأزهري ص٣٣٠ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤٨ ، الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر الأنصاري ص٤٣٣.

٥ القاموس المحيط ١٩٢/٣. للمخصص ٣٨١/٣.

وعلى الرغم من أن أبا حيان – في عرضه لهذه المصادر – لم يضرب بسهم في التفريق بين مدلولاتها، بل اكتفى بالإشارة إلى أن جميعها مصادر أشهرها الأول [1].

أما الأزهري فقد فرق بين الرأفة والرآفة بجعل الأولى للمرة الواحدة ، بينما عد الرآفة مصدرا كقولك : ضَؤل ، ضآلة [2]. وهو قريب في تأويله مما اتفق عليه النحاس وابن مالك ، فقد ذهب الأول إلى أن (فعالة) في الخصال كثير نحو القباحة ، أما (فعْلة) فعلى الأصل. بينما ذهب الثاني إلى أن الغالب بفعالة أنها تدل على المعاني الثابتة كالفطانة والبلادة والجراءة والرداءة ، وهي خصال على نحو ما ذهب النحاس [3].

﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وليشهد: قرأها الأخوان والزعفراني بياء، وقرأها باقي السبعة بالتاء . وقد سلك العلماء في تذكير لفظ الطائفة مذهبين:

ذهب أبو حيان – مذهبه في توجيه التذكير في كلمة (رأفة) – إلى أن تذكير الكلمة إنما لكونها مؤنثا مجازيا، فضلا عن وقوع الفصل بينها وبين الفعل [4]. بينما ذهب النحاس [5] إلى أن تذكير الطائفة لأنها في المعنى رجال ، وربما عزف عن علة الفصل بين الفعل وفاعلة المؤنث تأنيثا مجازيا فلم يقل بها علة للتذكير، لوقوع نظاهر خلت من هذه العلة ومع ذلك فقد وقع التذكير ،

---

[1] البحر المحيط: ٤٢٩/٦.

[2] معاني القراءات ص٣٣٠ . وهذا ما نص عليه ابن الشجري فقال: " كل مصدر دخلته التاء لتبيين عدد المرات فجاء على مثال (فعلة) نحو: جلست جلسة ، وضربت ضربة ، وأكلت أكلة ، كل هذا يراد به المرة الواحدة " أمالي ابن الشجري ٣٧/٣.

[3] إعراب القرآن ٢٨/٣ ، شرح التسهيل ٣٦٩/٣.

[4] البحر المحيط: ٤٤٠/٦ – ٤٤١.

[5] إعراب القرآن: ٤٧٤/١

مثل قوله تعالى (بيت طَائِفَةٌ مِنْهُم) (النساء / ٨١) فلم يفرق بين الفعل وفاعله المؤنث ومع ذلك وقع التذكير. مع الأخذ في الاعتبار أن هذه التوجيهات المتعلقة بتذكير المؤنث كلفظي طائفة ورأفة وشفاعة لكونها مؤنثة تأنيثا مجازيا أو لوقوع فاصل بينها وبين الفعل إنما تقوم مقام المرجحات وليس الملزمات هذه المؤنثات صفة التذكير، ومن ثم فقد جاز الخروج عليها لتوجيه دفة هذا التذكير ، وعلى نحو ما صنع النحاس .

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) : قرأها أبو البر هيثم بفتح الحاء وتشديد الراء ، وزيد بن علي بفتح الحاء وضم الراء ، والجمهور بضم الحاء وتشديد الراء.

فالأول مبني للفاعل – وهو الله تعالى – والأخير مبني للمفعول [1].

أما بناء (فَعُل) بفتح الفاء وضم العين فقد يستعمل لمعنى ثابت بعد التجدد ، مثل (فقه الرجل) إذا صار الفقه له طبعا ، وشعر إذا صار قول الشعر له طبعا ، وخطب إذا صار إنشاء الخطب له طبعا. وقد يستعمل لمعنى متجدد زائل مثل قولهم: جنب الرجل [2].

وبناء عليه فالصيغة (حرم) تدل على معنى ثابت بعد التجدد، وهو حرمة هذا النوع من النكاح بين المسلمين ، بل صار هذا التحريم في حكم الطبع اعتدادا بما تعكسه هذه الصيغة.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ (٤): قرأه الكسائي بكسر الصاد معرفا أو منكرا ، والجماعة بفتح الصاد [3]. والمراد بيانه : هل يقع اللفظ على الذكور

---

[1] البحر المحيط : ٦/٤٣١

[2] شرح التسهيل: ابن مالك ٣/٣٣٣.

[3] النشر في القراءات العشر : ٢/١٨٧.

وعلى الإناث سواء ؟ أم على الإناث فقط؟ وما توجيه دلالتـه؟ يقـول ابـن الأثير [1] : إن أصل الإحصان المنع، بالإسـلام كـان أم بغيـره، كالعفـاف والحرية والتزويج ، وأنه لفظ يقع على الرجل كما يقع على المرأة ، وهـو قريب بل شبيه بما أشار إليه الجوهري في الصحاح [2] . وعلى الرغم من أن أبا حيان قد خص (المحصنات) في الآية بالنساء لأن القذف فيهن أشـنع وأنكى للنفوس ، غير أنه قد ذكر مشاركة الرجال لهن في الحكم ، بل سـاق قولين يؤكدان على مشاركة الرجال لهن في الحكم ، حملهـا الأول – ولـم ينسبه – على الفروج المحصنات ، وحملها الثاني – وهو ابن حزم – علـى الأنفس المحصنات .

ثم عقب أبو حيان بقوله : " فعلى هذين القولين يكون اللفظ شـاملا للنسـاء والرجال " [3] . يرجح ذلك ما سبق إليه النحاس من أن هذا التأويل من أحسن ما قيل، وأن المحصنات لفظ عام لجميع الناس من ذكر وأنثى، وأن التقدير: يرمون الأنفس المحصنات [4] . كما ذكر ابن الأثير أن (المحصن) بـالفتح يكون بمعنى الفاعل والمفعول ، وهو أحد الثلاثة اللائي جئن نوادر ، يقـال أحصن فهو محصن ، وأسهب فهو مسهب، وألفج فهو ملفج [5]. أي إن اللفـظ (محصن) هو أحد ما جاء على أفعل فهو مُفْعَل . فإذا ثبت وقوع اللفظ على

---

[1] النهاية: ٣٩٧/١.

[2] ١٦٩٥/٥.

[3] البحر المحيط ٤٣١/٦.

[4] نفسه: ٤٤٠/٦.

[5] النهاية: ٣٩٧/١.

المرأة وعلى الرجل فمتى يسمى الرجل محصنا بفتح الصاد؟ ومتى يسمى محصنا بكسرها ؟ وكذلك المرأة متى تكون محصنا ؟ ومتى تكون محصنا؟

والتحقيق – كما ذهب الراغب – أن المرأة إذا تحقق لها الإحصان من نفسها فهي محصن (بالكسر)، وإذا تصور حصنها من غيرها فهي محصن (بالفتح)، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى (وآتوهُن أُجُورَهن بالمعروفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ) . وبعده (فَإِنْ أُحْصِنَ فإنْ أَتَيْنَ بِفاحشةٍ فَعَلَيْهِن نِصْفُ ما على المُحْصَناتِ من العذابِ) (النساء /٢٥) ولهذا قيل (المحصنات) المزوجات تصورا أن زوجها هو الذي أحصنها [١] .

وأضاف أن ذكر (المحصنات) بعد قوله (حرمت) بالفتح لا غير وفي سائر المواضع بالفتح والكسر ، لأن اللواتي حرم التزوج بهن المزوجات دون العفيفات ، وفي سائر المواضع يحتمل الوجهين . وهذا ما نص عليه ثعلب ، فكل امرأة عفيفة محصنة ومحصنة ، وكل امرأة متزوجة محصنة بالفتح لا غير [٢] . أما الرجل فهو كالمرأة سواء بسواء ، يقال :"أحصنت المرأة فهي محصنة ومحصنة ، وكذلك الرجل [٣] . وفي الصحاح للجوهري : أحصن الرجل إذا تزوج فهو محصن بفتح الصاد [٤] ، أي إن حصنه من غيره ، فإذا عف نفسه وأحصن فرجه فهو محصن بكسر الصاد . وعلى غير ما ذهب ابن السكيت وقد أطلق على الرجل إذا تزوج محصنا ومحصنا ،

---

[١] مفردات الراغب:ص١٢٠.

[٢] الصحاح: ١٦٩٥/٥.

[٣] النهاية: ابن الأثير : ٣٩٧/١.

وكأن الرجل – دون المرأة – إذا تزوج فهو محصَن بزواجه محصِن باعتباره الفاعل لأمر هذا الزواج حيث لا تستطيع المرأة [1].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ (٦) : قرئ (ولم تكن) بالتاء ، وقرأها الجمهور بالياء وهو الفصيح كما ذكر أبو حيان [2]. وقد جاء تأويل قراءة التاء على أن الشهداء جماعة [3] ، وقد حملها على المعنى ، كما ذكر الطائفة في قوله تعالى (بيت طائفةٌ منهم) (النساء/٨١) لأنها في المعنى رجال. ومن وجوه الحمل على المعنى أيضا – كما ذكر الفخر الرازي – أنه في معنى الأنفس الشهداء، وبنفس التأويل الذي أشرك فيه ابن حزم المحصنين مع المحصنات في قوله تعالى (وَالذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ) (النور /٤) بحملها على الأنفس المحصنات .

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ (١١) : قراءة الجمهور بكسر الكاف ، وقراءة الحسن والزهري وسفيان الثوري وغيرهم بضم الكاف . وعلى الرغم من تفاوت المذاهب في تأويل القراءتين فإنه يمكن وضع الأيدي على ثلاثة تأويلات واضحة لا تتجاوزها هذه المذاهب :

١– ذهبت طائفة إلى أن (كبره) بالكسر أي معظمه ، وبالضم لغة فيه [4]. وكذا نقله أبو حيان في تفسيره ، والأزهري عن أبي زيد [5] .

---

[1] المخصص: ابن سيده : ١/٣٤٤.

[2] البحر المحيط: ٦/٤٣٣.

[3] مفاتيح الغيب: ٦/٢٣٥.

[4] تفسير البيضاوي: ٤/٧٥

[5] البحر المحيط: ٦/٤٣٧، معاني القراءات للأزهري ص٣٣٢

٢- بينما ذهب الفراء إلى أن (كبره) بضم الكاف بمعنى (عُظْمَه) بل حسن هذا الوجه من التأويل

فقال : " وهو وجه جيد ، لأن العرب تقول : فلان أولى عظم كذا وكذا أي أكثره " [١] . ثم وافقه ابن جني فذهب إلى أن من قرأ (كبره) بالضم أراد عظمه ، ومن قرأها بالكسر أراد وزره وإثمه، واحتج لمذهبه بمشاهد قيس بن الخطيم :

تنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تنغرفُ

أي عن معظم شأنها [٢] .

٣- المذهب الثالث: ويمثله الطبري ، إذ يرى أن أولى القراءتين بالصواب إنما هي قراءة العوام بكسر الكاف، لإجماع الحجة من القراء عليها ، ولأن الكبر بالكسر مصدر الكبير من الأمور ، بينما هو بالضم من الولاء والنسب من قولهم (هو كبر قومه) . إذن فالكبر في هذا الموضع من الآية بمعنى معظم الإثم والإفك ، ومن ثم فالقراءة الصحيحة بكسر الكاف وليس ضمها، وإن كان لضمها وجه مفهوم [٣] . يؤيد ذلك أن البيت الذي احتج به ابن جني بضم الكاف أورده الأزهري في إطار تناوله لهذه الآية بكسر الكاف، ثم عقب بعد طرحه للعديد من الآراء قائلا :" وهذا هو الصحيح ، والقراءة بكسر الكاف لا غير[٤]. كما رد الطبري قول الفراء السابق ذكره ، وأنه لا حجة فيه ، لأنه قد يكون الشيء بمعنى الشيء ، والحركة فيه مختلفة ، كما أشار إلى

---

[١] إعراب القرآن للنحاس : ٣/١٣٠.

٢ المحتسب:٢/١٤٧. وهو مذهب الزجاج أيضا نقله الأزهري في معاني القراءات ص٣٣٢.

[٣] جامع البيان : ١٨/٦٩.

[٤] معاني القراءات : ص٣٣٢.

أن الكسر هو الأشهر في مثل هذا الكبر الوارد في الآية.أما الكبر بالضم فهو في النسب، ويقال الولاء للكبر [1].

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ (١٥) : اختلف القراء والمفسرون في وجوه قراءة هذه الكلمة حتى زادت على سبعة وجوه، وإليك التفصيل:

قرأ الجمهور (تلقونه) بفتح الثلاث وشد القاف ، أي يأخذ بعضكم من بعض ، يقال : تلقى القول وتلقنه وتلقفه ، ومنه قوله تعالى :(فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) (البقرة /٣٧) وتقدير الآية على هذا الوجه : أنكم تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك فتقبلونه ويرويه بعضكم عن بعض [2].

وقرأها أبي (تتلقونه) بتاءين، وهي الأصل ، وعليها قراءة الأمصار ، غير أنهم قرأوها (تلقونه) بتاء واحدة ،لأنها كذلك في مصاحفهم [3] . وقرأت عائشة وابن عباس (تلقونه) بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف ، أي تسرعون فيه وتخفون إليه ، وقد استدل ابن جنى على صحة هذا التأويل بقول الراجز القلاخ بن حزن المنقري يهجو جليدا الكلابي :

(جاءتْ به عَنْسٌ من الشامِ تَلِقْ) أي تخف وتسرع[4].

يؤيده ما حكاه الطبري وغيره من أن هذه اللفظة مأخوذة من الولق الذي هو الإسراع بالشيء بعد الشيء كعدد في إثر عدد وكلام في إثر كلام . ويقال ناقة ولقى أي سريعة ، ومنهم الولق للمجنون، لأن العقل باب من السكون والجنون باب من المسرعة والتهافت [5] .

---

[1] إعراب القرآن للنحاس : ٣/١٣٠.

[2] جامع البيان : ١٨/٧٨ ، وانظر البحر المحيط : ٦/٤٣٨.

[3] جامع البيان:١٨/٧٨ .

[4] المحتسب: ٢/١٤٨.

[5] روح المعاني :٦/٣٦ .

وقد روى الطبري عن عائشة أنها فسرت الولق في هذه الآية بالكذب ، وقد أيده ابن أبي مليكة بقوله : " وهي أعلم بما فيها أنزلت " . كما أيده نافع بقوله :" سمعت بعض العرب يقول: الليق: الكذب " . وتقدير المعنى على قراءة عائشة : إذ تستمرون في كذبكم عليها وإفككم بألسنتكم ، كما يقال : ولق فلان في السير فهو يلق إذ استمر فيه [1]. وقرأ ابن السميفع (تلقونه) بضم التاء والقاف وسكون اللام ، مضارع ألقى أي تلقونه من أفواهكم، وعنه أيضا (تلقونه) بفتح التاء والقاف وسكون اللام مضارع لقى من اللقاء ، وهو مقابلة الشيء ومصادفته [2]، وكأنهم قابلوا ما صدر ضد عائشة فتناقلوه بينهم وقبلوه بعضهم من بعض .

وقرأته أم ابن عيينة رواية عن سفيان بن عيينة (تتفقونه) بفتح التاءين والفاء وتشديد الفاء وإسكان الواو ، أي : تجمعونه وتحطبونه من عند أنفسكم، ولا أصل له عند الله تعالى .

كما قرأت أم ابن عيينة – وهو حرف ابن مسعود – (إذ تتفقونه) من ثقفت الشيء إذا طلبته فأدركته ، أي تتصيدون الكلام في الإفك من هنا ومن هنا [3]. وقرأ ابن أسلم (تألقونه) بفتح التاء وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة من الألق وهو الكذب [4]، وهو يلتقي في ذلك مع تأويل عائشة، غير أنه عند عائشة من الولق، وعند ابن أسلم من الألق، وكلاهما الكذب.

ومع تعدد القراءات وتنوع مدلولاتها في إطار توجيه الآية توجيهاً يواكب المقصود من القصة فإن الطبري لم يعتمد سوى قراءة الجمهور (تلقونه)

---

[1] جامع البيان : ١٨/٧٨.

[2] المحتسب : ٢/١٤٨، وانظر مفردات الراغب ص٤٦٦ .

[3] نفسه : ٢/١٤٨.

[4] البحر المحيط : ٦/٤٣٨ .

بفتح الثلاث وشد القاف ، أي : يأخذه بعضكم عن بعض ويقبله بعضكم عن بعض، لإجماع الحجة من القراء عليها [1].

أما النحاس فقد خلص بها إلى قراءتين اثنتين: الأولى قراءة الجمهور ، والثانية قراءة عائشة (إذ تلقونه) والأصل تَولِقونه ، فحذفت الواو اتباعا ليلق ، ويقال : ولق يلق إذ أسرع في الكذب،

واشتقاقه من الوَلْق ، وهو الخفة والسرعة ، فالمعنيان إذن صحيحان ، لأنهم قد تلقوه وولقوه [2] .

﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (٢١) : قرأه علي – عليه السلام – وعمرو بن عبيد (خطوات) بالهمز منقلا مع ضم الخاء والطاء ، واحدها (خُطْأَة) بمعنى الخطأ[3].

وقد عقب ابن جني على هذه القراءة بقوله :" وهي مرفوضة وغلط " .وقد جاء رده للهمز في هذا الموضع لأنه من (خطوت) لا من أخطأت ، والذي يصرف هذا إليه أن يكون كما تهمزه العرب ولاحظ له في الهمز ، نحو : جلأت السويق، ورثأت روحي بأبيات ، فالحمل على هذا فيه ضعيف . غير أنه لما كان هذا الفعل من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطأ ، فلما تصور ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها وقيل خطؤات[4]. وقرأ أبو السمال (خطوات) بفتح الخاء والطاء جمع (خطوة) وهي الفعلة الواحدة من خطوت كغزوت غزوة ودعوت دعوة [5] .

---

[1] جامع البيان : ١٨/٧٩.

[2] إعراب القرآن ٣/١٣٠- ١٣١.

[3] المحتسب : ٢/٣٤٣.

[4] نفسه: ٢/٢٠٤ – ٢٠٥.

[5] نفسه : ٢/٣٤٣.

وهذا ما ذهب إليه سيبويه فقال :" وأما ما كان على فَعْلة فإنك إن أردت أدنى العدد جمعتها بالتاء وفتحت العين ، نحو: قصعة وقصعات وجمرة وجمرات"[1]. وقد فرق الفيروزابادي بين الخطوة بالضم والخطوة بالفتح، فالخطوة بالضم بعد ما بين القدمين وبالفتح المرة. والجمع في الحالة الأولى خطا وخُطوات ، وفي الحالة الثانية خطوات ، بفتح الخاء والطاء[2].

كما فرق ابن الأثير بين الجمعين في الحالة الأولى، فالجمع (خطا) يكون في الكثرة ،وفي القلة (خطوات) بسكون الطاء وضمها وفتحها [3] .

فإذا كانت (خَطَوَات) جمع (خطوة) والخطوة يراد بها المرة الواحدة فالمعنى على هذا التوجيه : لا تتبعوا خطوات الشيطان ، أي آثاره، ولا تعتدوا به. وتقديره: لا تتبعوا مواضع خطوات الشيطان، على أساس حذف المضاف. وإن لم تجر على تقدير حذف فظاهر الآية : لا تتبع أفعال المشركين ولا تأتم بأديان الكافرين [4] . وقرأ نافع (خطوات) بسكون الطاء ، وقرئ بفتحها ، وهو في جميع ذلك جمع (خطوة) بضم الخاء وسكون الطاء اسم لما بين القدمين . والأصل في الاسم إذا جمع أن تحرك عينه فرقا بينه وبين الصفة فيضم إتباعا للفاء (خطوات) أو يفتح تخفيفا (خَطَوات) وقد يسكن (خطْوات) [5].

---

[1] الكتاب:٣/٥٧٨ – ٥٧٩ وإلى مثله ذهب ابن الشجري أمالي ابن الشجري: ٣/٣٧ – ٣٨.

[2] القاموس المحيط : ٤/٣٥٤ .

[3] النهاية: ٢/٥١.

[4] المحتسب: ٢/٣٤٣.

[5] روح المعاني : ٦/٤٠.

وهذا ما سبق إليه الأخفش فكل اسم على (فَعْلة) إذا جمع حرك ثانيه بالضم نحو ظلمات وغرفات . بينما فتحه بعضهم فقال ظلَمات وغرَفات، كما أسكن بعضهم ما كان من الواو كما يسكن ما كان من الياء ، نحو (كليات) فقد اسكن اللام لئلا تحول الياء واوا ،كما أسكنها في (خطوات) لأن الواو أخت الياء .وتأويل الآية في هذا التقدير : لا تتبعوا خطوات الشيطان ، أي : لا تتبعوا سيرته وطريقته . إذن فالمقصود بالخطوات – جمع خطوة بفتح الخاء وإسكان الطاء- طرائق الشيطان،وبالخطوات جمع خطوة بفتح الخاء وإسكان الطاء–أفعال الشيطان [1] .

﴿ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (٢١) : قرأ أبو جعفر وعاصم (ما زكا) بالإمالة ، كما أماله الأعمش أيضا فكتب (ما زكى) المخفف بالياء ، وهو من ذوات الواو وعلى سبيل الشذوذ .وقرأ الجمهور (ما زكى) بفتح الزاي وتخفيف . وقرأ روح (ما زكى) بتشديد الكاف. وعن زيد عن يعقوب من طريق الضرير (ما زكى) بضم الزاي وكسر الكاف مشددة. ولو أخذنا في الاعتبار ما ذكره الراغب [2]– من أن أصل الزكا النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، وأن ذلك يعتبر بالأمور الدنيوية والأخروية – فإن هذا التعريف الشامل قد يتسع لكل الوجوه الدلالية المنوطة بتلك القراءات المتعددة .

وعلى الرغم من تعدد هذه الصيغ فإنها لا تخرج في تأويلها عن هذين الوجهين :

الوجه الأول : وتمثله القراءتان : (ما زكا) و (ما زكى) بفتح الزاي وتخفيف الكاف ، غير أن الإمالة لا تعكس فارقا دلاليا يتعلق بالناحية الصرفية.

---

[1] معاني القرآن : ٣٦٣/١ ، ٤٥٠/٢

[2] مفردات الراغب: ص٢١٢.

أما القراءة الثانية بفتح الزاي وتخفيف الكاف فإنها تعكس دلالة لازمة ، أي تلزم الفرد ولا تتعدى إليه من غيره ، وعلى غير المفهوم من دلالة (زكى) بتشديد الكاف كما سيأتي.

يؤيد ما ذكره النحاس والفيروزابادي من أن معنى (زكا) إنما هو زاد ونما[1]. وبناء عليه جاءت كل التأويلات التي طرحها الطبري [2] لتؤكد على هذا المفهوم ولتجلي حقيقته : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه ، .... ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ..... ما أسلم.

الوجه الثاني: وتمثله القراءتان (ما زكى) بفتح الزاي وتشديد الكاف ، و (ما زكى) بضم الزاي وكسر الكاف مشددة . والفرق بينهما أن إحداهما تبنى للفاعل وهي القراءة الأولى ، والفاعل مضمر سبق ذكره، والثانية للمفعول. فالمحصلة الدلالية إذن واحدة ، والتزكية هي التطهير.ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن زكاها) (الشمس /٩) قال النحاس : " معنى زكاها الله طهرها بالتوفيق لطاعته". ومنه : (أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيةً) (الكهف /٧٤) أي طاهرة مخلصة من الذنوب [3] . وفي تفسير الطبري : (ولَكِن اللهَ يُزَكي مَن يَشَاءُ) (النور /٢١) أي يطهر من يشاء [4] ، كما يعكس حقيقة أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

---

[1] إعراب القرآن : ٢٣٧/٥. القاموس المحيط : ٣٧٥/٤.

[2] جامع البيان: ١٨/٨٠

[3] إعراب القرآن : ٢٣٧/٥

[4] جامع البيان: ١٨/٨٠

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ (٢٢).

يأتل : قراها الجمهور بهمزة ساكنة بين الياء والتاء المفتوحتين وكسر اللام ،وحذفت الياء للجزم ، كما حذفت الألف في قراءة من قرأ (يتأل) للجزم أيضا . وقرأ عبد الله بن عياش وزيد بن أسلم (يتأل) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة ، يتفعل من الألية .

والحقيقة أنه ليس ثمة خلاف في تأويل القراءة الثانية وأن (يتأل) بمعنى يحلف مضارع (تألى) وهو الألية على وزن فعيلة، وهي اليمين . يقال: آلى يُولي إيلاء وتألى يتألى تألِيا ، والاسم الألية [1].

قال ابن جنى [2] :" تألّيت على كذا إذا حلفت، والألوة والإلوة والألوة والألية اليمين"

وقد احتج لهذا المعنى بشاهد الأصمعي:

عجاجةٌ هجاجةٌ تألى لأصبحن الأحقرَ الأذلا

وإلى هذا التأويل صرف ابن الأثير [3] قول النبي صلى الله عليه وسلم : (مَنْ يتأل على الله يكذبه) أي من حكم على الله وحلف. وتقدير المعنى على هذا الوجه : ولا يحلف أولو الفضل منكم والسعة ألا يؤتوا أولى القربى [4] .

أما قراءة الجمهور (يأتل) فقد حملها ابن الجزري على معنيين: فإما من ألوت أي قصرت ، أي: ولا يقصر أولو الفضل . أو من آليت أي حلفت ، أي : ولا يحلف أولو الفضل .وذلك على أساس أن آلى وائتلى وتألى بمعنى واحد ، فتكون القراءات بمعنى [5] . وهذا هو المختار عند النحاس، فبعد أن

---

[1] النشر في القراءات العشر : ٢٤٨/٢، النهاية : ٦٢/١ ، الأفعال لابن القوطية ص١١

[2] المحتسب: ١٤٩/٢.

[3] النهاية : ٦٢/١

[4] المحتسب: ١٤٩/٢.

[5] النشر في القراءات العشر: ٢٤٨/٢.

أشار إلى القراءتين قال:"والمعنى واحد ، كما نقول يتكسب ويكتسب"[1].
وعلى معنى واحد أيضا حملها ابن جنى، غير أن تقديره : ولا يقصر أولو الفضل، فهي يفتعل من قولهم : ما ألوت في كذا ، أي ما قصرت . وهذا ما صوبه الفخر الرازي ، بينما ضعف القول الآخر والذي يقضي بأن (ولا يأتل) بمعنى ولا يحلف، وأن ائتلى افتعل من الألية ، وذلك لوجهين: أحدهما أن ظاهر الآية على هذا التأويل يقتضي المنع من الحلف على الإعطاء ، وهم أرادوا المنع من الحلف على ترك الإعطاء، فهذا التأويل أقام النفي مكان الإيجاب وجعل المنهي عنه مأمورا به .
والثاني : أنه قلما يأتي (افتعلت) مكان (أفعلت) وإنما يوجد مكان (فعلت) وهنا آليت من الألية (أفعلت) فلا يقال (افتعلت) كما لا يقال من ألزمت التزمت ولا من أعطيت اعتطيت [2].
أما الطبري [3] فقد صوب قراءة الجمهور (ولا يأتل) بمعنى يفتعل من الألية ، لموافقتها خط المصحف ، ولصحة المقروء به ، مع كونها قراءة جماعة القراء، فهي مقدمة على غيرها، غير أنه حملها على تقدير: ولا يحلف خلافا لابن جنى والفخر الرازي.
وأقول إذا كانت القراءة الأولى (يتأل) قد حملت على الحلف، فالراجح أن القراءة الثانية بمعنى : لا يقصر ، وعليه فقد تضمنت القراءتان الفائدتين : النهي عن الحلف ، والنهي عن التقصير ، إذ لا معنى لحمل الثانية على الحلف وعلى التقصير ما دامت الأولى تنهى عن الحلف .

---

[1] إعراب القرآن : ٣/١٣١.
[2] مفاتيح الغيب : ٦/٢٤٩
[3] جامع البيان : ١٨/٨١.

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ (٢٤):

تشهد: قرأه حمزة والكسائي وخلف بالياء على تذكير اللسان ، والباقون بالتاء على تأنيثه .

وقد روى ابن السكيت عن أبي عمرو أن اللسان يذكر ويؤنث، فمن أنثه جمعه ألسنا ، ومن ذكره جمعه ألسنة ، كما روى عنه أن أكثر العرب على تذكير اللسان [١] .

وقد واكب الفراء بتأويله هذا التقعيد فذكر أن من قرأ بالتاء فلتأنيث الألسنة ومن قرأ بالياء فلتذكير اللسان [٢] . يؤكد ذلك ما أشار إليه الأصمعي من بيان صرف هذه الجموع ، وخلاصته أن من أنث اللسان فجمعه ألسن ، لأن ما كان على وزن فعال من المؤنث جمعه في الأغلب (أفعُل) كلسان وألسن وشمال وأشمل . ومن ذكره فجمع ألسنة لأن ما كان على وزن فِعال من المذكر فجمعه أفعلة، كمثال وأمثلة وإناء وآنية [٣] .

﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ (٢٧) : قرأ الجمهور (تستأنسوا) ، وقرأ أبي وابن عباس (تَستأذنوا) وقد ذهب ابن جني إلى أن (تستأنسوا) معناه: تطلبوا وتلتمسوا الأنس، كما أن (تستأذنوا) إنما معناه تطلبوا الإذن [٤] . وهو نفس المعنى الذي استخلصه أبو حيان من قراءة الجمهور، وتقديره : حتى يؤذن لكم، كقوله : (لا تَدْخُلوا بُيُوتَ النبيِّ إلا أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) (الأحزاب /٥٣)

---

[١] معاني القراءات للأزهري ص٣٣٣

[٢] نفسه ص ٣٣٣

[٣] المخصص : ابن سيده : ١٣٨/٥.

[٤] المحتسب:١٥١/٢

فهو من باب الكفاية والإرداف، إذ هذا النوع من الاستئناس يرادف الإذن فوضع موضع الإذن [1] .

﴿ بِخُمُرِهِنَّ ﴾ (٣١) : قرأها الجمهور بضم الميم وطلحة بسكونها ، وهي جمع خمار من تخمرت المرأة واختمرت : غطت رأسها ، وكل ما غطته فقد خمرته [2] . وقد فرق سيبويه في الدلالة بين ما كان من جمع خمار على أخمرة وما كان من جمعها على خمر ، فإذا أردت أدنى العدد جمعت (فعالا) على أفعلة يعني أخمرة ،وإذا أردت أقصى العدد بنيته على (فُعُل) يعني خمر . أما الجمع بسكون الميم فهو لغة تميم [3] . وعليه فقراءة الجمهور بضم الميم كناية عن كثرة الخمر المخاطبة في الآية .

﴿ جُيُوبِهِنَّ ﴾(٣١): قرأها أبو عمرو ونافع بضم الجيم ، والضم هو الأصل كما ذكر الألوسي .

وقرأها باقي السبعة بكسر الجيم . وقراءة الضم هي الأصل ، لأن (فَعْلا) يجمع على (فعول) في الصحيح والمعتل كفلوس وبيوت [4] . وهذا ما أشار إليه ابن الشجري فذكر أن الحلق يجمع حلوقا على القياس [5] . أما سيبويه فقد فرق في المعتل – كبيت وقيد – بين جمع (فَعْل) جمعا يراد به أدنى العدد وجمع يراد به أكثر العدد ، فهو في الحالة الأولى (أفعال) كأبيات وأقياد ، وفي الحالة الثانية يبنى على (فُعول) كبيوت وقيود. وعليه فإن قراءة الضم يراد بها أكثر العدد على وفق هذه الدلالة في جمع خمار على (خمر) بضم

---

[1] البحر المحيط : ٤٤٥/٦.

[2] المخصص : ٣٦٦/١

[3] الكتاب : ٦٠١/٣ .

[4] روح المعاني : ٥٣/٦

[5] أمالي ابن الشجري: ٧٧/٢

الميم . أما القراءة بكسر الجيم فلأجل الياء ، وقد زعم الزجاج أنها لغة رديئة [1] .

﴿ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ (٣٢): قرأها الجمهور (عبادكم) وقرأ الحسن ومجاهد (عبيدكم) بالياء وفتح العين . وبادئ ذي بدء فالأخفش لا يرى فرقا بين اللفظين كما تدل عبارته في تفسير الآية [2] ، بينما فرق أبو حيان [3] بين المدلولين ، فجعل لفظ العبيد لكثر استعمالا في المماليك . وكأن الاستعمال هو الذي أوجد هذا الفرق في المدلول ، وهذا ما نص عليه ابن الأعرابي فقال: " وأولعت العامة بالتفريق بين العبيد والعباد فجعلوا العبيد جمع العبد من الملك ، والعباد جمع العبد لله " [4] . وهناك جموع أخرى أوردتها كتب اللغة والمعاجم لم تنتظمها قراءات أخرى، فهناك غير عبيد – وهو جمع عزيز– وعباد : الجمع (أعْبُد) وهو جمع قلة لأن قياس فَعْل في جمع القلة (أفْعُل) نحو :أكلب وأكعب وأبحر [5]. وقد زاد سيبويه الأمر توضيحا فذكر أن تكسير بناء (فَعْل) إذا ثلثته إلى أن تعشره (أفعل) نحو كلب أكلب وكعب وأكعب. فإذا جاوزت العدد فإن هذا البناء يجيء على (فعال) مثل: كلب وكلاب وبغل وبغال [6] . فنظير الأول عبد وأعبد ، ونظير الثاني عبد وعباد.

---

[1] روح المعاني :٥٣/٦

[2] معاني القرآن : ٦٤٠/٢- ٦٤١

[3] البحر المحيط: ٤٥١/٦

[4] المخصص : ابن سيده: ٣٢٨. .(ويؤيده ما أشار إليه الجوهري في الصحاح (٤٣٧/٢) فالعبد خلاف الحر والجمع عبيد .

[5] أمالي ابن الشجري: ٣١/٢. وانظر الكتاب ٣٠٤/١ ، إعراب القرآن للنحاس : ١٣٥/٣.

[6] الكتاب: ٥٦٧/٣.

وهناك (عبداء) يمد ويقصر ، ومنه حديث الاستسقاء : (هؤلاء عبداك بفناء حرمك). كما ورد

الجمع (عِبْدان) في حديث علي رضي الله عنه (هؤلاء قد صارت منهم عبدانُهم) [1].

وكما يبدو فإنه جمع العبد المملوك. وقد أشار سيبويه إلى هذا الجمع بضم العين وبكسرها ، وقد مثّل لهما الجوهري بالجمع (ثُمْران) جمع ثمر، وجِحْشان جمع جحش[2]. ومن الجموع الأخرى التي ذكرها ابن السكيت: أعابد وعبدي ومعبوداء [3].

هذا وقد فرق النحاس تفريقا صرفيا بين الجمع (عبيد) والجمعين (أعبد) و (عباد) فالأول ليس بجمع مستتب ، بينما المستتب أعبُد وعباد [4]. وبعد تدبر ما سبق يمكن التفريق بين هذه الجموع المختلفة اعتبارا بهذه الأسس :

١ــ كثرة الاستعمال : فالأبنية (أعبد) و (عباد) يكثر استعمالهما في القرآن والحديث مقارنة بسائر الجموع ، والشواهد على ذلك كثيرة يصعب حصرها سيما البناء (عباد) فإنه يناسب العدد المنشود من هذه الفئة المخاطبة في القرآن والسنة ، يرجح ذلك تصدير سيبويه حديثه في جموع هذا البناء بهذين الجمعين ، فبدأ بالحديث عن الجمع(أفعُل) ثم ثلاه بالحديث عن الجمع (فِعال). وعلى الجانب الأخر فإن استعمال الجموع الأخرى يكاد ينحصر في

---

[1] النهاية: ١٦٩/٣

[2] الصحاح : ٤٣٧/٢

[3] المخصص: ٣٢٨/١

[4] إعراب القرآن: ١٣٥/٣

عدد قليل بل نادر من المواقف السياقية ، وعلي سبيل المثال فالجمع(فعيل) ذكر سيبويه أنه جمع قليل ، بل ذكر الجوهري أنه جمع نادر.

٢ــ تنوع الدلالة : فالدلالة الغالبة علي(العبيد) أنه جمع العبد من الملك ، والغالبة علي العباد أنه جمع العبد لله. كما عكس حديث الاستسقاء الذي رواه ابن الأثير أن هذا الجمع (عبداك) مفرده (عبد) لله . وعلي العكس من ذلك فحديث علي (هؤلاء قد ثارت منهم عبدانهم) يدل علي أنه جمع العبد المملوك .

٣ــ المناسبة العددية : فالجمع (أعبد) يناسب العدد من (٣ــ١٠) كما ذكر سيبويه،فإذا جاوزت هذا العدد فإن البناء يجيء علي وزن(فعال) أي عباد . أما الجمع (عبيد) فرغم أنه جمع عزيز غير أن عبارات المفسرين تدل علي أنه جمع مرادف للجمع (عباد) من حيث العدد. وكما يدل حديث الاستسقاء علي أن الجمع عبداك يستخدم في حالة الكثرة ، فإن حديث علي ــ رضي الله عنه ــ يدل علي أن الجمع (عِبْدان) يستخدم في حالة القلة.

٤ــ الاستتباب الصرفي : وكما سبق أن أشرنا فقد ذكر النحاس أن المستتب من هذه الجموع أعبد وعباد، أما عبيد وسعبوداء وعبدي فليست جموعا مستتبة ، بل هي أسماء للجمع.

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ (٣٤) (مبينات): قراها أبو عمرو بفتح الياء ، وقراها الحسن وباقي السبعة بكسرها. والفرق بين القراءتين يكمن في الفرق بين دلالتي اسم الفاعل واسم المفعول ،فالقراءة بكسر الياء تعني أنها متعدية، أي : مبينات غيرها من الأحكام والحدود، وإسناد البيان إليها من باب المجاز. أما من قرأها بفتح الياء فهي لا تتعدي،

أي :مبينات في نفسها لا تحتاج إلي موضح ، بل هي واضحة [1]. و إلي مثله ذهب الطبري ، لذا فقد صوب القراءتين لتقارب معنييهما ، ولصدور كل قراءة منهما عن علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته[2].

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٣٥) : قرأ الجمهور (الله نور) مبتدأ و خبر، وقرأ علي- كرم الله وجهه- (الله نور) بفتح النون وتشديد الواو،فعلا ماضيا . ومرجع تأويل هذه الآية أن النور في كلام العرب الضوء المدرك بالبصر ، ومن ثم فإسناده إلي الله تعالي مجاز ، ويكون ذلك باعتبارين : الأول: أن يحمل لفظ (نور) علي معني اسم الفاعل ، أي منور السموات والأرض، ويؤيد هذا التأويل قراءة علي بفتح النون وتشديد الواو. وهو المختار عند الراغب الأصفهاني،قال في المفردات [3]:"وسمي الله تعالي نفسه نورا من حيث أنه هو المنور ".

الثاني : أن تفسير الآية علي تقدير حذف، أي : ذو نور ، ويؤيده قوله تعالي: (مَثَلُ نُورِهِ) [4]

وهو مذهب النحاس أيضا ، قال في (إعراب القرآن) [5]: وتقديره "الله ذو نور " .

﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (٣٥)(دري) : وقد قرئ علي خمسة أوجه[6] : قرأ الحسن وأهل الحرمين (دري) بضم الدال و تشديد الياء. وقرأ سعيد بن

---

[1] البحر المحيط ٤٥٣/٦.

[2] جامع البيان :١٠٤/١٨.

[3] ص٥٢٩ . وانظر تفسير البيضاوي : ٨٠/٤.

[4] البحر المحيط : ٤٥٥/٦ .

[5] ١٣٦/٣.

[6] نفسه :١٣٦/٣.

المسيب و نصر بن عاصم (دري) بفتح الدال و تشديد الياء. و قرأ أبو عمرو والكسائى (درء) بكسر الدال و تشديد الراء والهمز. وقرأ حمزة (دريء) بضم الدال والهمز. و حكي الفراء (دري) بكسر الدال و تشديد الياء بغير همز. وعلي الرغم من تعدد الوجوه التي طرحها الفخر الرازي في إطار تأويل هذه الكلمة فإنها لم تخرج عن هذه الوجوه الثلاثة والمتمثلة في ضم الدال و فتحها و كسرها [1] . ويأتي التنوع من تداخل الهمز كوحدة تتنوع بتنوع مكانه في الكلمة معني الكلمة .فأما قراءة الحسن – بضم الدال وترك الهمز– فنسبة إلي الدر علي (فُعّلي) كأن الزجاجة في صفائها وحسنها كالدر [2] . ومنه (كما تَرَوْنَ الكوكبَ الدري في أفقِ السماءِ) أي الشديد الإنارة ، كأنه نسب إلي الدر تشبيها بصفائه[3]. ومن قرأ بفتح الدال وتشديد الياء فعلي معني القراءة الأولي – كما ذهب النحاس – وقد أبدل من الضمه فتحة ، لأن النسب باب تغيير[4]. وما حكاه الفراء من كسر الدال وتشديد الياء بغير همز فجائز علي أن تبدل من الضمة كسرة كما أبدلت منها فتحه في قراءة من فتح الدال[5]. أما قراءة أبي عمرو و الكسائى (دريء) فعلى (فِعيّل) مثل سكير و خمير . وسمي الكوكب بذلك لشدة توقده و تلألئه، من درأ الكوكب درءا[6].

---

[1] مفاتيح الغيب ٢٤٨/٦

[2] جامع البيان :١٠٩/١٨ ، معاني القراءات للأخفش ٦٤١/٢.

[3] النهاية :١١٣/٢. ذكر السيوطي في الإتقان(٤٣٥/١) أن دري معناه المضيء بالحبشية

[4] إعراب القرآن للنحاس : ١٣٧/٣ــ ١٣٨

[5] إعراب القرآن للنحاس : ١٣٧/٣ــ ١٣٨

[6] الصحاح للجوهري: ٣٢/١. وقد نقل اللفظ (دريء) مهموزا بالوجوه الثلاثة. غريب الحديث لأبي عبيد ٩٠/١.

قال الفراء :هو فعيل من الدرء كأن ضوءه يدفع بعضه بعضا من لمعانه [1]، وهو المختار أيضا عند الطبري، ومنه قوله تعالي (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ) (النور /٩) أي يدفع [2]. بينما غايره قليلا تأويل الأزهري، فالدري ء في كلام العرب كل كوكب براق يدرأ عليك إذا طلع من الأفق بزهرته ، وهي فعيل من درأ يدرأ ،ومنه قولك: درأ علينا فلان وطرأ إذا طلع فجأة[3]. ومن جهة أخري فقد ضعف أبو عبيد هذه القراءة تضعيفا شديدا،لأنه تأولها من درأت أي دفعت ، أي كوكب يجري من الأفق إلي الأفق ، وعندئذ فلا فائدة ترجى من هذا التأويل ،ولا مزية معه لهذا الكوكب علي سائر الكواكب . غير أن النحاس قد التمس لهذه القراءة تأويلا يليق بصاحبيها خلاصته أن هذا الكوكب مندفع بالنور ، كما يقال اندرأ الحريق أي اندفع ، وهذا تأويل صحيح لهذه القراءة[4]. هذا وقد فرق سيبويه في هذا البناء بين ما هو اسم وما هو صفة ،فالاسم نحو السكين والبطيخ،والصفة نحو : الشريب والفسيق[5].

كما نقل ا بن جني عن سعيد بن المسيب (دريء) بفتح الدال وتشديد الراء والهمز واستغربه ، لأن (فعيلا) من الأبنية عزيز ، وحكي منه السكينة بفتح السين وتشديد الكاف حكاه أبو زيد[6]. بل ذكر سيبويه أنه لا يكون في الكلام فعيل[7]. ثم جاءت عبارة ابن سيده مواكبة لما ذهب إليه سيبويه وابن جني ،

---

[1] مفاتيح الغيب : ٢٤٨/٦

[2] جامع البيان : ١٠٩/١٨

[3] معاني القراءات : ص٣٣٥

[4] إعراب القرآن ١٣٧/٣

[5] الكتاب : ٢٦٨/٤

[6] المحتسب ١٥٣/٢

[7] الكتاب : ٢٦٨/٤

قال: " ليس في الكلام شيء علي فعيل إلا ما حكاه أبوزيد "[1]. أما قراءة حمزة (دريء) بضم الدال وتشديد الراء مع الهمز فالنحويون جميعا لا يعرفون هذا الوجه ، لأنه ليس في كلامهم شيء علي (فعيل)ووجهه معروف و هو فعيل من الدرء بمعني الدفع ، أي يدفع بعضها بعضا، وهو صفة ، ونظيره من الأسماء المريق[2]. بينما نقل ابن سيده عن سيبويه تحقق هذا البناء غير أنه قليل في الكلام نحو المريق[3]. وقد نقل محقق الكتاب عن السيرافي أن (دريئا) أي فعيلا من أضعف اللغات فيه[4]. والحقيقة أن الشبهة التي أطاحت بهذا البناء لم تغن عن كونه لم يرد في لغة العرب بل نص النحاس علي أن أهل اللغة جميعا –إلا أقلهم – يقولون هي لحن لا يجوز ،لأنه ليس في كلام العرب اسم علي فعيل[5]. ذكر النحاس أيضا أن الطبري قد تعقب نظير (الدريء) والذي يشفع لهذا البناء– و هو قولهم (مُريق)– فذكر أنه أعجمي[6]غير أني قد وقفت علي الطبري في جامع البيان [7] يجيز هذا الوجه من القراءة إن كانوا أرادوا به ذروء مثل سبوح وقدوس، فأبدلوا من الواو ياءا كما في قوله تعالي (عُتِيا) (مريم /٨) وهو فعول من عتوت عتوا ثم حولت بعض ضماتها إلي الكسر فقيل (عتِيا). وعلي كل فقد صوب الطبري

---

[1] المخصص : ٢/٣٨٠ ، ٣٨١. والمريق حب العصفر

[2] المخصص : ٢/٣٨٠ ، ٣٨١. والمريق حب العصفر

[3] المخصص : ٢/٣٨٠ ، ٣٨١. والمريق حب العصفر

[4] الكتاب : ٤/٢٦٨

[5] إعراب القرآن : ٣/١٣٧، ١٣٨ .

[6] إعراب القرآن : ٣/١٣٧، ١٣٨ .

[7] جامع البيان :١٨/١٠٩

قراءة الحسن والجمهور من السبعة بضم الدال وتشديد والراء والياء نسبة إلي الدر، لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا [1]

﴿ يُوقَدُ ﴾(٣٥): قرأه الحسن وأبو عمرو (توقد) بفتح الأربعة مع تشديد القاف فعلا ماضيا من يتوقد. وقرأ شيبة ونافع (يوقد) بضم الياء والدال وفتح القاف مع تخفيفها ، فعلا مستقبلا من أوقد .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (توقد) بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال ، وأصله تتوقد ، حذفت إحدى التاءين لأن الأخرى تدل عليها .

وقرأ الكوفيون (توقد) بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال . وقد اتفق الطبري والنحاس وأبو حيان على هذه الوجوه الأربعة ، كما اتفقوا على تأويلها[2]. فالقراءتان الأولى والثانية تتعلقان بالمصباح فهو أشبه بهذا الوصف، لأنه الذي يضيء ، وإنما الزجاجة وعاء له . أما القراءتان الثالثة والرابعة فتتعلقان بالزجاجة وعلى تأنيثها. وقد اختار الطبري القراءة الأولى – قراءة الحسن – والتي تصف المصباح بالتوقد ، لأن التوقد والاتقاد من صفة المصباح دون الزجاجة ، ومعنى الكلام إذن : مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية .

وفى الوقت الذي اقتصر فيه الطبري والنحاس على هذه القراءات الأربع زاد أبو حيان فذكر (وقد) بغير التاء مع تشديد القاف ، جعله فعلا ماضيا ، أي وقد المصباح[3]. كما ذكر قراءة الحسن (يوقد) من يتوقد ، غير أنه حذف

---

[1] جامع البيان :١٠٩/١٨

[2] جامع البيان ١٠٩/١٨ ،اعراب القرآن ١٣٨/٣ ، البحر المحيط ٤٥٦/٦.

[3] البحر المحيط : ٤٥٦/٦

التاء في (يتوقد) قياسا لدلالة ما أبقى على ما حذف ، وفي (يوقد) شاذ أو غريب ، لأن الياء الباقية لا تدل على التاء المحذوفة[1].

والسنة عند العرب أنه إذا اجتمع حرفان زائدان في أول الفعل أن تحذف التاء إذا كان حرف المضارعة قبلها تاءا ، نحو (تفكرون) و (تذكرون) والأصل (تتفكرون) و (تتذكرون) فيكره اجتماع المثلين زائدين فيحذف الثاني منهما طلبا للخفة بذلك .

وفي (يتوقد) ليس هناك مثلان فيحذف أحدهما ، لكنه شبه الياء في (يتوقد) بالتاء الأولى في (تتوقد) إذ كان زائدين ، كما شبهت التاء والنون في (تعد) و (نعد) بالياء في (يعد) فحذفت الواو معهما كما حذفت مع الياء في يعد [2] .

يذكر أن الفخر الرازي قد بلغ بهذه القراءة ثمانية أوجه يمكن بغير عناء ردها إلى أصول أربعة أو خمسة مما سبق .

﴿ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (٣٥): قرأ الجمهور (تمسسه) بالتاء وقرأ ابن عباس (يمسسه) بالياء ، وقد حسن ابن جنى للتذكير هنا – تذكير نار – لأمرين ، أحدهما : الفصل بالهاء ، والآخر أن التأنيث ليس بحقيقي ، فهو نظير قوله تعالى (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) (هود /٦٧) بل إذا جاز تذكير فعل الصيحة – مع أن فيها علامة تأنيث – فهو مع النار التي لا علامة تأنيث فيها أمثل[3].

---

[1] البحر المحيط : ٤٥٦/٦

[2] المحتسب لابن جنى : ١٥٤/٢

[3] نفسه: ١٥٥/٢.

﴿ وَٱلْآصَالِ ﴾ (٣٦) : قرأ سعيد بن جبير (والإيصال) والباقون (والآصال) . أما (الآصال) فجمع أصيل كشرير وأشرار وشريف وأشراف ويمين وأيمان [1] ، مع أن جمع (فعيل) على (أفعال) ليس بقياس كما ذكر الجوهري [2]

بينما ذهب الزمخشري إلى أن آصال جمع أُصُل كعنق وأعناق، وأضاف أن الأصل كالأصيل بمعنى العشى ، وهو من زوال الشمس إلى الصباح فيشمل الأوقات كلها ما عدا الغداة ، وهي من أول النهار إلى الزوال[3]. أما الإيصال بكسر الألف فهو مصدر أصلنا ، أي دخلنا في وقت الأصيل[4]. ذهب الفراء إلى أن أُصُلا جمع أصيل ، وقد يكون أصل واحدا ، وإلى مثله ذهب الراغب في المفردات فجمع الأصيل على أصل وأصال[5]

﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ (٣٩): قرأ مسلمة بن محارب (بقيعات) وعنه أيضا بقيعاة بتاء شكل الهاء ، ويقف عليها بالهاء . وقرأ الجمهور (بقيعة) .

فأما قراءة مسلمة بتاء ممدودة فعلى أنها جمع قيعة كديمات وديمة ، وقيمات وقيمة[6].

أما من قرأ (قيعاة) بتاء ممدودة ويقف عليها بالهاء فإما أن يكون جمع قيعة ووقف بالهاء على لغة طئ ، كما قالوا: البناه والأخواه في الوقف على البنات

---

[1] معاني القرآن للأخفش ٥٤١/٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ١٧٣/٢

[2] روح المعاني : ٧٩/٦. وهو المختار عند النحاس مثل طنب وأطناب. إعراب القرآن ١٧٣/٢.

[3] روح المعاني : ٧٩/٦. وهو المختار عند النحاس مثل طنب وأطناب. إعراب القرآن ١٧٣/٢.

[4] المحتسب: ٣٨٥/١ ، الكشاف : ٣١٣/٢ وإعراب القرآن: ١٧٣/٢ .

[5] إعراب القرآن : ١٧٣/٢، مفردات الراغب : ص١٧.

[6] البحر المحيط : ٤٦٠/٦

والأخوات. وإما أن يكون مفردا وأصله قيعة – كما في قراءة الجمهور – غير أنه أشبع الفتحة فتولدت عنها الألف [1] وقد احتج ابن جنى لهذه الظاهرة بقول ابن هرمة يرثي ابنه :

فأنتَ من الغوائلِ حين تُرْمَى ومن ذم الرجال بمُنْتَزاحِ

أراد بمنتزح، فأشبع الفتحة فتولدت عنها ألف [2]. وقد جوز ابن جنى قراءة قيعاة ، وذلك أن نظير قولهم : قيعة وقيعاة في أنه فعلة وفعلاة لمعنى واحد قولهم : رجل عِزْه وعزهاة ، أي الذي لا يقرب النساء ، فهذا فعل وفعلاة وذلك فعلة وفعلاة ، ولا فرق بينهما غير الهاء وذلك ما لا بال له [3]. أما من قرأ قيعة فإما أنه مفرد مرادف للقاع وهو الأرض المستوية الخالية عن النبات وغيره، وإما أنه جمع قاع كجار وجيرة ونار ونيرة [4] وقد ذكر ابن الشجري [5] أن (فِعْلة) من أبنية الجمع التي تلحق بها تاء التأنيث توكيدا لتأنيثه ، مثل : نيرة وجيرة وقيعة في جمع نار وجار وقاع. هذا وقد رادف الراغب والزمخشري بين القيعة والقاع ، وجمعه الأول على قيعان [6].

﴿ سَنَا بَرْقِهِۦ ﴾ (٤٣) : قرأ الجمهور (سنا) مقصورا و (برقه) مفردا، وقرأ طلحة بن مصرف (سناء) ممدودا ، و (برقه) بضم الباء وفتح الراء ، وعنه أيضا (برقه) بضم الباء والراء . فأما من قرأ (السنا) مقصورا فالمراد به ضوء البرق الساطع [7]، وتثنيته سَنَوان وسَنَيان ، والجمع

---

[1] روح المعاني : ٨٢/٦

[2] المحتسب : ١٥٧/١.

[3] نفسه : ١٥٦/٢

[4] روح المعاني : ٨٢/٦، تفسير البيضاوي: ٨٢/٤.

[5] أمالي ابن الشجري : ٣١/٣.

[6] مفردات الراغب : ص٤٢٦ ، أساس البلاغة للزمخشري ص٥٢٨.

[7] القاموس المحيط : ٣٨٢/٤، الصحاح للجوهري: ١٩٠١/٥ ، مفاتيح الغيب ٢٩٥/٦

أسناء ، وهو مصدر لسنا البرق يسنو سنى إذا أضاء[1]وقد ذهب ابن جنى إلى أن أصل اللام من سنا واو لقولهم في التثنية سنوان ، وهو عنده من السنة ، لأنهم يقولون: حول مجرد ، وإذا تجرد الشيء ظهر وزال عنه ما يخامره ويستره فأنار للعين وبدا فكأن عليه ضوءا ونورا ، وهكذا السنة مشهورة معلومة العدة شائعة المعرفة في الكافة فكأن عليها نورا وضياء[2]. وأما من قرأ السناء ممدودا فالمقصود به العلو والرفعة ، ومنه أكمة سنواء ، أي : عالية [3]ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (بشرْ أمتي بالسناء) أي بارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى [4]وقد جوز ابن جنى أن يكون المقصود بالسناء ممدودا المبالغة في قوة ضوءه وصفائه، فأطلق عليه لفظ الشرف[5]. وهمزة السناء عند ابن جنى واو [6]، واستدل على ذلك بقولهم : سنا يسنو إذا علا، بينما هي عند الأثير ياء ، يقول : " سنيَ يسنى سناء إذا ارتفع"[7].أما (برقه) فمن قرأه بالإفراد فهو واحد البروق من برقت السماء بروقا وبرقانا، أي لمعت[8].وجمع (فَعْل) على فعول هو القياس ، كما يدل على الكثرة كما ذكر سيبويه وابن الشجري[9]. ومن قرأ (برقه) بضم الياء وفتح الراء فجمع (إبرقة) بضم الياء وإسكان الراء ، وهي المقدار من البرق

---

[1] المخصص: ٤٥٢/٤. وانظر مجالس ثعلب ١٤١/١ رقم ١٦٩

[2] المخصص: ٤٥٢/٤. وانظر مجالس ثعلب ١٤١/١ رقم ١٦٩

[3] مفاتيح الغيب : ٢٩٥/٦ ، مفردات الراغب ص٢٤٥ ، المخصص لابن سيده ٤٥٢/٤ .

[4] النهاية لابن الأثير ٤١٤/٢

[5] المحتسب ١٥٧/١ .

[6] المخصص: ٤٥٢/٤ -- ٤٥٣

[7] النهاية في غريب الحديث : ٤١٤/٢

[8] القاموس المحيط : ٢٨٥/٤

[9] الكتاب : ٥٦٧/٣ ، أمالي ابن الشجري : ٧٦/٢

كالغرفة واللقمة [1] ، وذلك لأن ما جاء على وزن (فُعْلَة) من المصادر وفتحت أوله أريدت المرة ، كما جاء في التنزيل (إلا من اغترف غرفة بيده) (البقرة /٢٤٩) . فإن ضمت فقلت (الغرفة) فالمراد ما تأخذه المغرفة[2] وعليه فالبرقة -بضم الباء وإسكان الراء – هي المقدار من البرق .

أما (برقة) بضم الباء والراء فلإتباع حركة الراء لحركة الباء قبلها ، وعلى نحو ما جاء في

(ظلماتها) بضم الظاء واللام وأصلها السكون[3]. غير أن سيبويه قد ربط بين تصريف هذا البناء (فعلة) وما يدل عليه ، وهذا يعني أن الضم في عين الجمع ليس للإتباع ، بل البناء

(فعلة) إذا كسرته على بناء أدنى العدد ألحقت التاء وحركت العين بضمة ، نحو : ركْبة وركُبات وغرفة وغرفات . فإذا جاوزت هذا البناء – بناء أدنى العدد– كسرته على (فُعَل) بضم الفاء وفتح العين ، نحو : ركب وغرف [4] ، ونحوهما : برقة وبرق .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ﴾ (٤٥) : قرأ عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم (خلق) فعلا ماضيا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (خالق) بالإضافة. وعلى الرغم مما أشار إليه الطبري والنحاس[5] من شهرة القراءتين وتقارب معنييهما بل صحتهما فإن ثمة فارقا

---

[1] البحر المحيط : ٤٦٥/٦.

[2] أمالي ابن الشجري : ٣٧/٣-٣٨. وغرفة بفتح الغين قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو (معاني القراءات ص ٨٢) .

[3] البحر المحيط : ٤٦٥/٦. وإلى مثله أشار الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٢٩٥/٦.

[4] الكتاب : ٥٧٩/٣.

[5] جامع البيان : ١١٨/١٨ ، إعراب القرآن : ١٤٣/٣.

يمكن التماسه بين مدلولي الصيغتين ، فبثوث الحدث في اسم الفاعل أقل من ثبوته في الفعل كما ذهب ابن الضائع في تذكرته [1] . وإلى مثله ذهب الأنباري في الإنصاف ، فإذا ثبت أن اسم الفاعل فرع على الفعل فلا شك أن المشبه بالشيء يكون أضعف منه في ذلك الشيء ، لأن الفروع تنحط أبدا عن الأصول[2]. غير أن هذا لا يقودنا إلى القول بأن إحدى القراءتين أصح من الأخرى ، لأنهما

---

[1] الأشباه والنظائر ١/١٧٥.

[2] الإنصاف في مسائل الخلاف : ١/٥٩ - ٦٠.

لا يدلان على معنيين مختلفين، بل فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب[1].

﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٥٥) : قرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء وكسر اللام ، وقرأ عامة القراء (كما استخلف) بفتح التاء واللام . والفرق بين القراءتين أن الفعل في الأولى مبني للمفعول، وفي الثانية مبني للفاعل . والغرض الدلالي الذي يترتب على نيابة غير الفاعل عن الفاعل قد يكون لفظيا وقد يكون معنويا .

فمن الأغراض اللفظية الإيجاز ، ومن الأغراض المعنوية كون الفاعل معلوما ، أو تعظيمه بصون اسمه عن مقارنة اسم المفعول ، أو تعظيم المفعول بصون اسمه عن مقارنة اسم الفاعل ، وقد يستر الفاعل خوفا منه أو خوفا عليه [2]، وباستعراض الآية يتضح دون خفاء أن بناء الفعل في القراءة الأولى لكون الفاعل معلوما ، فقد سبق ذكره في الآية مرتين ظاهرا ومضمرا . فتقدير الآية إذن – على القراءة الأولى – : أي جعلهم يخلفون من قبلهم ، أي يكونون بدل من كان قبلهم في الأرض ، وعلى القراءة الثانية : كما استخلف الله الذين من قبلهم[3].

١- ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾ (٥٥) : قرأها الجمهور بالتشديد ، وقرأها ابن كثير والحسن وعاصم بالتخفيف من الإبدال . وقد نقل أبو جعفر النحاس عن أحمد بن يحيى أن بين التخفيف والتشديد فرقا، وأن (بدلته) غير (أبدلته) فبدلته أي غيرته ، وأبدلته : أزلته ، وجعلت غيره[4]. وإلى مثله سبق الطبري

---

[1] جامع البيان : ١١٩/١٨ .

[2] شرح التسهيل: ابن مالك :٦٢/٢ . وللمزيد انظر دلائل الاعجاز للجرجاني : ص١١٨ - ١٣١ .

[3] معاني القراءات للأزهري :ص٣٧٧

[4] إعراب القرآن : ١٤٥/٣

، فالعرب تقول : قد بدل فلان إذا غيرت حاله ولم يأت مكانه غيره ، وكذلك كل مغير عن حاله فهو عنده مبدل بالتجديد، فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل[1]. ومن أقطع الأدلة التي ساقها الطبري على صحة هذا التأويل قول أبي النجم : (عزل الأمير للأمير المبدلِ) فالإبدال بالتخفيف هو ما كان في إبدال شيء مكان آخر[2]. هذا وقد اتفق الطبري والنحاس – مع ما ذكراه من هذا الفرق بين الصيغتين – على جواز استعمال أحدهما في موضع الآخر ، مع إشارة الطبري إلى أن البناء بالتخفيف ليس بالفصيح ، ثم صوب قراءة الجمهور لإجماع الحجة من القراء

عليها ، ولانحصار مدلولها في تغيير حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن ، كما التمس توجيها لقراءة عاصم خلاصته أن عاصما ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف حمل المعنى على أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الأمن فخفف البناء [3] .

﴿ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ﴾ (٥٥): قرأها الجمهور الحلم بضم اللام وقرأها ابن عمر بالسكون. والقراءة بالسكون هي لغة تميم ، إذ يميلون دائما إلى التخفيف ، ومن ثم فلا تغير دلالي يترتب على هذا التنوع الصرفي إلا نقل الضمة فحذفت لنقلها [4]

---

[1] جامع البيان : ١٢٢/١٨

[2] جامع البيان : ١٢٢/١٨

[3] جامع البيان :١٢٢/١٨ ، وإعراب القرآن : ١٤٥/٣.

[4] البحر المحيط : ٤٧٢/٦ ، إعراب القرآن : ١٤٦/٣- ١٤٧

والملاحظ دائما أن التغير الصرفي الناجم عن اختلاف لغات القبائل لا يحظى بتنوع دلالي بقدر ما يحظى به من مسالك التخفيف في نطق هذه الكلمة أو تلك .

وحتى الذين فرقوا بين الحلم بضم اللام والحلم بسكونه لم يطرحوا فرقا دلاليا ،فهذا هو الفيروزابادي يذكر أن الحلم بالسكون من الجماع في النوم والاسم الحلم دون أدنى إشارة إلى تنوع دلالي يعكسه اللفظ بالضم[1]. وكأنه يرى أن اللفظ بالسكون هو المصدر وبالضمة الاسم .هذا وقد أشار السيوطي إلى أن الحلم مصدر واسم وأن حلم الرجل حلْما وحلُما مما وافق الاسم فيه المصدر[2]. وحتى لو خالف الاسم المصدر فلن يكون هذا باعثا على تفاوت دلالي لاتفاق المصدر واسمه في الدلالة على معنى واحد ، وإنما يأتي الخلاف فقط من خلو اسم المصدر من بعض ما في فعله دون تعويض [3] .

﴿ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ ﴾ (٥٨) : قرأ الجمهور (عورات) بسكون الواو ، وهي لغة لأكثر العرب لا يحركون الواو والياء في نحو هذا الجمع، وقرأها ابن عباس والأعمش بالفتح[4] . والعورات جمع عورة ، وهي سوءة الإنسان، أو كل ما يستحيا منه إذا ظهر [5]وأكثر العرب – كما سبق – على تسكين الواو في هذا الجمع ، وما نقل عن ابن عباس والأعمش من فتح الواو في مثل هذا الجمع إنما هو لغة هذيل وتميم[6].

---

[1] القاموس المحيط : ٤١/٤.
[2] الأشباه والنظائر : ٢٠٨/٤ .
[3] شرح ابن عقيل : ٩٨/٢.
[4] البحر المحيط : ٤٤٩/٦.
[5] الصحاح للجوهري : ٦٥١/٢ ، النهاية لابن الأثير : ٣١٩/٣.
[6] البحر المحيط : ٤٤٩/٦

إذن فسائر العرب على الإسكان إلا هذيلا وتميما وقيسا وذلك على عادتهم في التخفيف. وقد نقل ابن خالويه في (شواذ القراءات) عن ابن مجاهد أنه لحن ، ورد ذلك بكونه مذهبا في العربية فبنو تميم يقولون : روضات وجورات وعورات بفتح الواو[1]، وهذا يعني أن تحريك الواو في (عورات) ليس بجيد، وهذا ما أقره النحاس في (إعراب القرآن)[2] وعلل له حين ذهب إلى أن التسكين في عورات أجود وما أشبهه ، لأن الواو إذا تحركت وتحرك ما قبلها قلبت ألفا ، ولو فعل هذا لذهب المعنى . تجدر الإشارة إلى أن التنوع في الصيغ الصرفية إذا كان مبعثه التنوع في لغات القبائل فإنه لا يعبأ بجهة الفصاحة، لارتباطه في معظم الأحيان بعلة التخفيف ، مع اتفاقها – أي الصيغ– جميعها في المعنى الذي تطرحه .

وإتماما للفائدة فقد استخلص سيبويه فائدة دلالية لجمع (فعلة) إذا أردت أدنى العدد أن تجمع بالتاء وتفتح العين أي فعلات ، نحو قصعات وجمرات وصفحات، وعلى غير بنائها إذا أردت أقصى العدد[3].

﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ (٦١): قرأ الجمهور (مفاتحه) جمع مفتح بكسر الميم وسكون الفاء ، وقرأ ابن جبير (مفاتيحه) جمع مفتاح ، وقرأ قتادة (مفتاحه) مفردا . فأما قراءة قتادة بكسر الميم مع الألف فعلى أنها جنس ، وإن جاء مضافا فنظير قولهم : قد منعت العراق قفيزها ودرهمها ومنعت مصر إردبها[4] أما قراءة الجمهور (مفاتح) فهي اللغة الفصيحة ، وهي الأكثر

---

[1] البحر المحيط : ٤٤٩/٦

[2] ١٣٤/٣.

[3] الكتاب : ٥٧٨/٣.

[4] المحتسب : ١٥٩/٢.

في كلام العرب [1]، مقارنة بمفاتيح جمع مفتاح ، وقد خففوها فجعلوها (مفاتح) لأنهم يستعملونها في الكلام والشعر كثيرا مع العلم بأنه تثقيلها في القياس جائز [2]

﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ (٦٢) : قرأها الجمهور(جامع) أي : أمر من طاعة الله عام يجمع جميعهم من حرب أو صلاة أو تشاور [3]. وقرأ اليماني (أمر جميع) أي يجتمع له الناس، كما تدل عبارة ابن الأثير في (النهاية) [4]، وهو قريب في تأويله من مدلول قراءة الجمهور.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ (٦٣) : قرأ الجمهور (بينكم) بفتح الباء والنون

وسكون الياء ، وقرأ الحسن ويعقوب (نبيكم) بنون مفتوحة وباء مكسورة وياء مشددة .

فأما القراءة الأولي فحملت على الظرفية ، أما الثانية فعلى البدل من الرسول لاختلاف تعريفهما ، فالرسول معرفة باللام ، ونبيكم معرفة بالإضافة إلى الضمير ، فهو أكثر تعريفا من ذي اللام ،

فلا يصح النعت به على المذهب المشهور ، لأن النعت يكون دون المنعوت أو مساويا له في التعريف [5]. بينما ذهب البعض – ممن رد القول بكون (نبيكم) بدلا- إلى جواز أن يكون نعتا لكونهما معرفتين ، وهذا هو المختار عند أبي حيان ، لأن الرسول قد سار علما بالغلبة كالبيت للكعبة ، فكل ما

---

[1] إعراب القرآن : ٢/٧١ ، ٣/ ١٤٩.
[2] معاني القرآن للأخفش : ١/٢٩٧.
[3] جامع البيان ١٨/١٣٣.
[4] ١ / ٢٩٧
[5] البحر المحيط : ٦/٤٧٦ – ٤٧٧.

جاء في القرآن والسنة من لفظ الرسول فإنه يفهم منه أنه محمد صلى الله عليه وسلم [1].

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾(٦٣): قرأ الجمهور (لواذا) بكسر اللام ، وقرأ يزيد بن قطيب (لواذا) بفتحها. واللواذ بكسر اللام مصدر لاوذت ملاوذة ولواذا، لأن كل فعل على وزن فاعل فمصدره الفعال والمفاعلة [2]، وهما مصدران يدلان على المشاركة بين اثنين فصاعدا كالملامسة والمقاتلة ، يؤكد هذا تفسير الضحاك لمعنى اللواذ ، فهو عنده أن يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا [3]. أما لواذا بفتح اللام فإما أن يكون مصدر (لاذ) وقد رد ، لأنه لا كسر قبل الواو، وإما أن يكون مصدر (لاوذ) وفتحت اللام إتباعا لفتحة الواو [4]. وإتماما للفائدة فقد ذكر الطبري أن (لواذا) بكسر اللام لو كان مصدرا للذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما [5]. وهذا يعني أن لياذا مصدر لاذ وليس لواذا.

---

[1] البحر المحيط : ٦/٤٧٦- ٤٧٧.

[2] شرح ابن عقيل :٢/١٣١

[3] جامع البيان : ١٨/١٣٥

[4] البحر المحيط : ٦/٤٧٧

[5] جامع البيان : ١٨/١٣٥.

الخاتمـــة

تعقب هذا البحث دلالة القراءات المختلفة في سورة النور، الدلالات المعجمية والصرفية ، وقد تمخض عن جملة من النتائج وبعض من التوصيات نوجزها فيما يلي .

١- أثبتت الدراسة أن القراءات القرآنية مصدر فياض وبيئة خصبة وعين لا تغيض لكل الدراسات الدلالية على الإطلاق، بما تحويه من تنوع الصيغ وتفاوت المباني فيما تعكسه من دلالات حية ومعبرة عن طباع العرب ومذاهبهم في التعبير ، وفيما تعكسه من خصائص لهجية للقبائل العربية ، تخفف البحث في الوقوف عليها ، وإن جاءت الإشارة معبرة .

٢- كشفت الدراسة عن مكانة الطبري في ترجيح وجوه الصواب ، وتفوقه في الموازنة بين القراءات المختلفة ، كما كشفت عن التزامه الشرعي وسلوكه العلمي تجاه ما ثبت من هذه القراءات .

٣- لاحظت الدراسة أيضا اعتداده العلمي بالمبررات الأصولية في تصويب هذه القراءة أو تلك ، كموافقتها لخط المصحف ، وصحة المقروء به ، مع كونها قراءة عدد كبير من القراء، فضلا عن موافقتها صيغة من صيغ العربية .

٤- لاحظت الدراسة أن من عوامل دفع الدراسات اللغوية إعارة الجانب النحوي مكانة مناسبة في إطار هذه الدراسات ، ومن ثم فإن الباحث يوصي بالحد من الدعوة إلى استقلالية الدراسات اللغوية بعيدا عن الجانب النحوي أو العكس ، بل النظر إليهما معا على أنهما توأم اللغة وصنوا بنيتها .

٥- كشفت الدراسة عن مكانة ابن جني اللغوية ، وتفوقه في الاحتجاج لصحة بعض القراءات بمقتضى دلالة الشواهد الشعرية مقارنة بغيره من اللغويين والمفسرين. كما لاحظت أن براعته في مجال اللغة تنعكس انعكاسا طيبا ومثمرا على ما يطرحه من وجوه غريبة وتأويلات نادرة . ولذا توصي

الدراسة بضرورة تعقب تراثه والعكوف عليه ما أمكن ،وأن ذلك سوف يدر خيرا كثيرا على اللغة واللغويين .

٦- كشفت الدراسة عن تميز التراث اللغوي بوفرة من الألفاظ والنصوص قد تسوغ لهذا البناء أو ذاك صحة الاحتجاج به والاعتداد بمدلوله .

٧- أثبتت الدراسة أن مجال القراءات مجال خصب لتفعيل وجوه الدلالة المعجمية والدلالة الصرفية ، بما تحمله الأولى من الدلالة المفردة ، وبما تحمله الثانية من دلالة الأبنية ، أبنية الأفعال من مجرد ومزيد ، وما بني للفاعل وما بني للمفعول ، والمذكر والمؤنث ، وكذلك أبنية المصادر والمشتقات ، فضلا عن الإفراد والتثنية والجمع . كما لاحظت أن التطور اللاحق بالصيغ الصرفية غالبا ما ينطلق من الدلالة المعجمية .

٨- أثبت البحث أن الدلالة الصرفية للصيغة (فعل)- بتشديد العين - تدل على التكثير في كل أحوالها ، مقارنة بتلك التي تخلو من التشديد ، بعد توافر تداعيات البيئة الدلالية للدفع بهذه الصيغة إلى تلك المرتبة ، وعلى نحو ما وقع في قوله تعالى (وفرضناها).

٩- لاحظت الدراسة أن الحمل على المعنى وجه يلجأ إليه في كثير من الأحيان لفك رموز التأويل المتعلق بالتذكير والتأنيث.

١٠- كشفت الدراسة عن صحة القاعدة التي أشار إليها كثير من اللغويين ، كالأخفش والفارسي وأبي حيان ، والتي تقضي بأن كل مؤنث تأنيثا مجازيا فرقت بينه وبين فعله حسن أن تذكر فعله ، وأن هذه قاعدة قد يطرد مدلولها .

١١- كما كشفت عن وظيفة البناء (فَعْل)ودلالته في معظم الأحيان على معنى ثابت بعد التجدد ، وعلى نحو ما وقع في قوله تعالى (وحَرُم ذلك على المؤمنين) .

١٢- كشفت الدراسة عن ثراء بعض الصيغ العربية ثراء رائعا بجملة من المدلولات المتنوعة بتنوع الصيغة أمكن تحقيقها من خلال الاستعمال في سياقاتها المختلفة ، كصيغة (فُعْلِي) وكيف تنوعت مدلولاتها من خلال قوله تعالى (كوكب دري) .

١٣- لاحظت الدراسة أن القراءات قد تتنوع بتنوع قبائل الصحابة وتنوع أحرفهم ، كما في قوله تعالى (إذ تلقونه بألسنتكم) وتنوع بناء الصيغة بين عائشة وابن عباس وزيد بن علي من ناحية وابن مسعود من ناحية أخرى.

١٤- كشفت الدراسة عن قرينة العدد قرينة جوهرية للتفريق بين الصيغ الصرفية المتفاوتة في بنائها ، على نحو ما وقع في (خطوات) ، (عورات) ، (خمرهن) كما لاحظت تصدر سيبويه في السبق إلى هذه القرينة .

١٥- لاحظت الدراسة خلو القراءات القرآنية من الخصائص اللهجية المناهضة للفصاحة وتصفيتها من عيوب النطق المشهورة ، مع اشتمالها على كثير من اللهجات الفصيحة التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من الجسد اللغوي .

١٦- كما لاحظت أن اتجاه بعض القبائل كهذيل وتميم وأسد إلى تمثل ما هو ضد الفصيح قد لا يكون من المآخذ ، لكونه صدر بقصد التخفيف ، كما في قوله تعالى (عَوْرَاتِ) و(خُمُرِهِن).

١٧- توصي الدراسة بضرورة التعمق في مستويات الدلالة المعجمية ومحاولة الإحاطة بملابساتها، مع تعقب نمو هذه الدلالة إلى ما صارت إليه في الدلالة الصرفية ، حتى يتسنى لنا الوقوف على معالم هذه المرحلة الانتقالية ، ومن ثم تحديد مظاهر هذا التطور وملاحقة أسبابه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم كتاب العربية ومصدرها الأول.

٢- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحقيق أحمد علي ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٣- أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤- الأشباه والنظائر : للسيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٥- إعراب القرآن : أبو جعفر النحاس ، تحقيق د. زهير غازي ، عالم الكتب – بيروت ، ط (٣) ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

٦- الأفعال : ابن القوطية ، تحقيق علي فودة ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط (٣) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٧- الإقناع في القراءات السبع : أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، منشورات محمد علي بيضون بـ دار الكتب الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

٨- أمالي ابن الحاجب : أبو عمرو عثمان بن الحاجب ، تحقيق: د.فخر صالح سليمان قدارة ، دار عمار – عمان – الأردن ، دار الجيل – لبنان ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٩- أمالي ابن الشجري : هبة الله بن علي بن محمد الحسيني ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، مطبعة المدني – القاهرة ، توزيع مكتبة الخانجي – القاهرة .

١٠ – الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : أبو البركات الأنباري ومعه كتاب: الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى لمصطفى محمد – القاهرة .

١١- الإيضاح : أبو علي الحسن بن عبد الغفار النحوي ، تحقيق : د. كاظم بحر المرجان عالم الكتب – بيروت ، ط (٢) ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
١٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار الطلائع – القاهرة ، ٢٠٠٤م.
١٣- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، مطبعة السعادة – مصر ، ط (١)١٣٢٨هـ.
١٤- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر – القاهرة ، ١٤٢٥ – ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
١٥- البهجة المرضية في شرح الألفية : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : د.أحمد إبراهيم محمد ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، ط (١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
١٦- التعريفات : على بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (٣) ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
١٧- تفسير البيضاوي : أبو سعيد الشيرازي ، دار الكتب العربية – مصر ، مصطفى البابي الحلبي .
١٨- جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ، ط (١) ١٣٢٨هـ.
١٩- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط (٢) ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
٢٠- دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني ، تصحيح : محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية – بيروت .
٢١- دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م.

٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم : محمود شكري الألوسي ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ، ط (١) ١٣٠١هـ.

٢٣- سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني ، تقديم : د. فتحي عبد الرحمن حجازي، تحقيق : أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية – القاهرة .

٢٤- شرح ابن عقيل (عبد الله بن عقيل العقيلي) على ألفية ابن مالك ، دار الفكر – القاهرة ، ط (١٤) ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٢٥- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية – القاهرة .

٢٦- الصاحبي في فقه اللغة : أحمد بن فارس ، تحقيق : د. عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف – بيروت ، ط(١) ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

٢٧- الصحاح: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار إحياء التراث العربي– بيروت ، ط(١)١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

٢٨- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب – القاهرة، ط(٥) ١٩٩٨م.

٢٩- علم الدلالة نشأة وتطورا : د.محمد عبد الحفيظ العريان، مطبعة التركي – طنطا، ط(٢)١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٠- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط(١) ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

٣١- فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق : أمليل نسيب، دار الجيل – بيروت ، ط(١)١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

٣٢- القاموس المحيط : مجد الدين محمد يعقوب بن محمد الفيروزابادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(١)١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٣٣- القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث : د. عبد الغفار حامد هلال ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط(٢)١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٣٤- الكتاب ، كتاب سيبويه : أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الشركة الدولية للطباعة – القاهرة ، الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط(٢) ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٣٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ، ط(٢) ١٣١٨هـ .

٣٦- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي التهانوي، دار صادر – بيروت

٣٧- لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف – القاهرة .

٣٨- اللغة العربية ، معناها ومبناها: د.تمام حسان، عالم الكتب – القاهرة، ط(٣)١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

٣٩- مجالس ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب،تحقيق: عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة ، ط(٦) ٢٠٠٦م.

٤٠- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت،ط(١)١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٤١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى –علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل – بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٢- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ابن سيده) ، تقديم : د. خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط(١)١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

٤٣- المعاجم العربية مدارسها ومناهجها: د. عبد الحميد محمد أبو سكين ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة ، ط(٢) ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

٤٤- معاني القرآن : سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق : د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب - بيروت ، ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٥- معاني القراءات : أبو منصور الأزهري ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط(١) ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٤٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، مؤسسة جمال للنشر - بيروت.

٤٧- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٤٨- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين محمد الرازي ، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود العمادي ، المطبعة الحسينية المصرية ، المطبعة العامرة الشرفية بمصر، ١٣٢٤هـ .

٤٩- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٢٤هـ.

٥٠- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، خرج آياته : زكريا عميرات ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط(٢) ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥١- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ، تحقيق: محمود محمد الطناحي - طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية - القاهرة ، ط(١) ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

فهرس الآيـــات

الآيـــة	رقمها	الصفحة
١- وفرضناها	١	٢٠٦
٢- ولا تأخذكم بهما رأفة	٢	٢٠٩
٣- وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين	٢	٢١٢
٤- وحرم ذلك على المؤمنين	٣	٢١٣
٥- والذين يرمون المحصنات	٤	٢١٣
٦- ولم يكن لهم شهداء	٦	٢١٦
٧- والذي تولى كبره	١١	٢١٦
٨- إذ تلقونه بألسنتكم	١٥	٢١٨
٩- لا تتبعوا خطوات الشيطان	٢١	٢٢٠
١٠- ما زكى منكم من أحد أبدا	٢١	٢٢٢
١١- ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة	٢٢	٢٢٤
١٢- يوم تشهد عليهم ألسنتهم	٢٤	٢٢٦
١٣- لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا	٢٧	٢٢٦
١٤- وليضربن بخمرهن	٣١	٢٢٧
١٥- على جيوبهن	٣١	٢٢٧
١٦- والصالحين من عبادكم	٣٢	٢٢٨
١٧- ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات	٣٤	٢٣٠
١٨- الله نور السماوات والأرض	٣٥	٢٣١
١٩- الزجاجة كأنها كوكب دري	٣٥	٢٣١
٢٠- يوقد من شجرة مباركة	٣٥	٢٣٥

٢١- ولو لم تمسسه نار	٣٥		٢٣٦
٢٢- يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال	٣٦		٢٣٧
٢٣- والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة	٣٩		٢٣٧
٢٤- والله خلق كل دابة من ماء	٤٥		٢٤٠
٢٥- ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم	٥٥		٢٤٢
٢٦- وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا	٥٥		٢٤٢
٢٧- والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات	٥٨		٢٤٣
٢٨- ثلاث عورات	٥٨		٢٤٤
٢٩- أو ما ملكتم مفاتحه	٦١		٢٤٥
٣٠- وإذا كانوا معه على أمر جامع	٦٢		٢٤٦
٣١- لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم	٦٣		٢٤٦
٣٢- قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا	٦٣		٢٤٧